(ومن) علامات الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبَّ إلى الإنسان من كل أحد في هذه الحياة.

(وكذلك): (**حُبُّ آلِ بَيْتِه**) وهم: أقرباؤه ـ صلوات الله وسلامه عليه وعترته ـ وفي الحديث: (**آلُ مُحَمَّدٍ كلُّ تَقِيٍّ**) ، ومن محبة الرسول ﷺ محبة آله وعشيرته ، لأن من أحبَّ شخصًا أحب من يلوذ به وينتسب إليه.. فمحبتُهم محبة للرسول ﷺ ، وتكريمهم تكريم له ﷺ.

(وكذلك): (**تِلاَوَةُ القُرْآنِ، فإنَّ حَمَلَة القرآنِ في ظِلِّ عَرْشِ الله ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه مع أَنْبِيائه وأَصْفِيائه**).(والمراد) بحملة القرآن، أي: حَفَظَته، والعاملون به، المهتدون بهديه .. فالمستمسكون بالقرآن العاملون به هم السادة الأشراف .. ولا شرف أعظم من شرف حامل القرآن.

(وحَسْبهم) أنهم سيفوزون بهذا الشرف الذي أشار إليه الرسول ﷺ في ختام الحديث .. وهو أنهم سيكونون في ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه.

(فعلى) الإخوة الآباء المسلمين أن ينفذوا المراد من هذا الحديث مع أولادهم ؛ لأنه حق من أهم حقوقهم عليهم. والله ولي التوفيق،،

(١٤١) يَا رَسُولَ الله .. إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّة وشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركَني ، فقلتُ: يا رسول الله، إنَّا كُنَّا في جاهلية (٢٠٣٩) وشَرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (**نعم**) قلت:وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (**نعم وفيه دَخَنٌ**(٢٠٤٠)!!)

(٢٠٣٩) المراد بالجاهلية: حياة (الشرك والوثنية) التي كان عليها العرب قبل الإسلام.

(٢٠٤٠) الدخَن مثل الدخان.. أي: أن الخير ليس خالصًا ولا صافيًا بل فيه كدر لأن ظاهره غير باطنه .

قلت: وما دَخَنُه؟ قال: (**قوم يهدون بغير هَدْيي** [٢٠٤١] **تعرف منهم وتنكر**) قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (**نعم ، دُعَاةٌ على أبوابِ جهنَّم ، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها**) قلت: صفْهم لنا، قال: (**هم من جلدتنا ويتكلمُون بألسنتنا !!**) قلت: فما تأمرني إن أدْركني ذلك؟ قال: (**تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامهم**) قلت: فإنْ لم يكُنْ لهم جماعة ولا إمامٌ؟ قال: (**فاعتزِلْ تلْك الفِرَق كُلَّها، ولو أنْ تعضَّ بأصْلِ شجرةٍ حتَّى يُدرِكَكَ الموتُ ، وأنت على ذلك**) [رواه البخارى ومسلم والترمذى]

(ففى) بداية هذا الحديث الشريف يشير حذيفة بن اليمان ﷺ - راوى الحديث - إلى ملاحظة هامة لم يسبقه إليها أحد، وهى أن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكان هو يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه .

(وتلك) إشارة هامة .. كلنا لابد أن نلتفت إليها بقلوبنا.. حتى نكون على حذر من كل شر .. وذلك بالوقوف على أسبابه ، حتى لا نقع فيها ونحن فى غفلة أو انشغال عنها بالمغريات الدنيوية التى لا حصر لها .

وكان السؤال الأول الذى وجَّهه حذيفة لرسول الله ﷺ هو: (**إنَّا كُنَّا فى جاهلية وشَر ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟**) فكان جواب الرسول ﷺ هو: (**نعم**)، فسأله مرة أخرى: (**وهَلْ بعد ذَلكَ الشَّرِّ من خَيْر؟**) فكان جوابه أيضًا - صلوات الله وسلامه عليه - هو: (**نعم، وفيه دَخَن!!**) فسأله حذيفة: وما دخَنه؟ فقال له: (**قَوْمٌ يهدُونَ بغير هَديي ، تعرِفُ منهم وتُنكر**) .

وهذا معناه أن هؤلاء المشار إليهم ليس الخير خالصًا ولا صافيًا فيهم، بل فيه كَدَر.. أى: أنهم ﴿**خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا**﴾ [٢٠٤٢] ، ولاشك أننا نلاحظ هذا كثيرًا من أمثال هؤلاء المشار إليهم فى الآية .. وبهذا الدخَن المشار إليه فى الحديث .

(٢٠٤١) أى: بغير علم ولا بصيرة وبغير اتباع لهدى الرسول ﷺ .

(٢٠٤٢) التوبة من الآية ١٠٢ .

(ولكن) حذيفة أراد أن يستوضح أكثر من هذا .. فقال .. (فهل بعد ذلك الخير من شر؟) قال: (**نَعَم ، دُعَاة على أبواب جهنَّم مَنْ أجابهُمْ إليهَا قَذَفوه فيها**) وما أكثر هؤلاء كذلك كما هو معلوم لأولى الألباب.. فإن هؤلاء المشار إليهم هم أهل الدخن نفسه الذين يقولون ما لا يفعلون .. والذين يُضلِّلون الناس بأباطيلهم التى لا تمتُّ إلى الفضيلة أو الحقيقة بصلة .

(ثم) أراد حذيفة أن يستوضح أكثر من هذا ، فقال: (**صِفْهُم لنا**) فقال صلوات الله وسلامه عليه: (**هُمْ من جِلْدتنَا ويتكلَّمون بألسنتنا**) أى: هم منا ومن عشيرتنا، ويتكلمون بألسنتنا ..أى: أنهم ليسوا أجانب ولا غرباء عنا ولكنهم خبثاء، يقولون ما لا يفعلون، ويُبطنون ما لا يُظهرون.

(يقول) حذيفة: (فَمَا تأمرنى إنْ أدركنى ذلك؟) قال: (**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**).

(ثم) يقول حذيفة: (فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟) قال ﷺ: (**فاعتزلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها ، ولو أنْ تعضَّ بأصل شجرة ، حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنتَ علَى ذلكَ**) .

(وهذا) النصح الأخير لرسول الله ﷺ هو خلاصة هذه الفتوى التى أسأل الله تعالى أن ينفعنا بها، وأن يجعلها حجةً لنا لا علينا حتى لا نفارق جماعة المسلمين .. اللهم آمين ،،

(١٤٢) حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ الله .. عن صِنْفَيْن من أهْل النَّار لم تَرَهُمَا فى زَمَانِكَ .. ثُم شاءَ اللهُ تَعَالى أنْ يَحْدُثَا فى زَمَانِنَا هَذَا؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: (**صِنْفَان** [٢٠٤٣] **من أهل النار لم أرهُما** [٢٠٤٤]: **قَوْمٌ معهُم سِيَاطٌ** [٢٠٤٥] **كأذْنَابِ البَقَر يضرِبُونَ بها**

(٢٠٤٣) أى: فئتان وفريقان مثلى، صنف بمعنى الفريق والجماعة .

(٢٠٤٤) المراد أنهما لم يكونا فى زمانه ﷺ وأنهما سيحدثان فى المستقبل .

(٢٠٤٥) سياط جمع سوط، وهو الجلد المضفور، وهو آلم من العصا .

الناسَ، ونساءٌ كَاسياتٌ عارياتٌ (٢٠٤٦)، **مائلاتٌ مميلاتٌ** (٢٠٤٧) **رُءوسهُنَّ كأسْنمة البُخْت** (٢٠٤٨) **المائلة ، لا يدخُلْنَ الجنَّة ، ولا يَجِدْنَ ريحهَا ، وإنَّ رِيحها لَيُوجَدُ من مَسيرة كَذَا وكَذا ..)** وفى رواية أخرى: **(وإنَّ ريحَها لَيُوجَدُ من مَسيرة خَمْسمائة عَام)** [رواه مسلم]

(ففى) هذا الحديث الشريف الصحيح .. يشير النبى من خلال إجابته إلى المعجزة التى حدثت فعلاً فى زماننا هذا .. وهى التى أخبر عنها الصادق المصدوق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهى من أمور الغيب التى أصبحنا نشاهدها كما أخبر عنها الرسول ﷺ ، وهما صنفان ـ كما قال صلوات الله وسلامه عليه.

أولاهما: حديثه عن الظَّلَمة الذين يعتدون على خلق الله وعباده بالضرب والتعذيب والتنكيل .. بتلك السياط التى تشبه أذناب البقر فى غلظها ومتانتها ، أو فى قسوتها وألمها .. (وهذا) المشهد الذى صَوَّره الرسول ﷺ بهذه القسوة يحدث فعلاً الآن على المستوى العام من جانب الظالمين والجبابرة ، الذين لا يخشون الله تعالى (وهذا) الإخبار يعتبر معجزة من معجزات الرسول ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى.

وثانيهما: إخباره ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عن النسوة الفاجرات اللواتى خالفْنَ تعاليم الدين وآداب الإسلام .. فخرجن من بيوتهن ـ فى هذا الزمان ـ بعد أن خلعْنَ نقاب الحياء.. وكشفن عن سواعدهن وأفخاذهن ، ولبسْنَ الملابس الرقيقة التى لا تستر جسدًا، ولا تخفى عورة.

(هذا) بالإضافة إلى المشهد الذى وضعه النبى ﷺ لنساء هذا الزمان ـ وكأنه كان يراهن رأى العين ـ وأعنى به قوله عنهن ، أنهن: **(كاسيات عاريات، مائلات مميلات)** أى: أنهن مائلات فى مشيتهن، مميلات لقلوب الرجال بقصد

(٢٠٤٦) أى: كاسيات فى الصورة عاريات فى الحقيقة. لأنهن يلبسن ملابس شفافة رقيقة لا تستر جسدًا.

(٢٠٤٧) أى: (مائلات) فى مشيتهن (مميلات) لقلوب الرجال.

(٢٠٤٨) أى: الإبل، والمراد أن شعورهن فوق رءوسهن كأسنمة الإبل .

إثارة الشهوة فى قلوبهم.. وأن (**رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة**) أى: أنهن يُصَفِّفْنَ شعورهن حتى يصبح شعر الواحدة منهن مثل سنام الجمل فى الارتفاع، وقد وضعت عليه أنواع الزينة .. الخ وهذا من عمل الفاجرات والعياذ بالله .. ومما يُؤسف له أن كل هذا يحدث منهن باسم المدنية والتحرر الأعمى الذى يؤدى غالبًا إلى الانحطاط الخلقى الذى يأباه الشرع القويم.

فعلى الأخت المسلمة أن تحذر الوقوع فى هذه المخالفات .. وحسبها زَجْرًا لها قول النبى ﷺ فى ختام الحديث عن النساء المائلات المميلات.. اللواتى رءوسهن كأسنمة البخت.. أنهن: (**لا يدخُلْنَ الجنةَ، ولاَ يَجِدْنَ ريحَها**).

نسأل الله تعالى أن يعافينا من ظلم الظالمين، ومن الفتن ما ظهر منها وما بطن .. اللهم آمين،،

(١٤٣) لماذا النِّسَاءُ هُم أكْثَرُ أهْلِ النَّارِ .. يَا رَسُولَ الله؟

عن أبى سعيد الخدرىِّ رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو فطْر[٢٠٤٩] إلى المصلَّى [٢٠٥٠]، فمرَّ على النساء، فقال: (**يا مَعْشَرَ النسَاء تَصَدَّقْنَ ، فإنى أُرِيتكُنَّ أكثر أهل النار**) فقُلْنَ: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: (**تُكثِرنَ اللَّعن وتكْفُرْنَ العشير** [٢٠٥١] . **ما رأيتُ من ناقصاتِ عقل ودينٍ أذهبَ للُبِّ**[٢٠٥٢] **الرجلِ الحازمِ منْ إحداكُنَّ**) . قُلْنَ : وما نقصانُ ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: (**أليسَ شهادةُ المرأةِ مثلَ نصْفِ شَهادةِ الرَّجُلِ؟**) قُلْنَ: بلى . قال: (**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضَتْ لم تُصَلِّ ولم تَصُم؟**) قُلْنَ:

(٢٠٤٩) أى: فى يوم عيد الأضحى أو الفطر .

(٢٠٥٠) أى: إلى مصلى العيد، لأنها كانت خارج المسجد .. ولم يثبت أن النبى ﷺ صلى العيد فى المسجد إلا مرة واحدة بسبب المطر.

(٢٠٥١) أى: الزوج.

(٢٠٥٢) أى: العقل .

بلى . قال: (فذلكَ من نُقْصانِ دينها). [أخرجه أحمد والشيخان]

فهذا الحديث، كما قال فى (الدين الخالص):

(يدل) على أن العقل والإيمان يقبلان الزيادة والنقصان، وليس المراد من ذكر نقصان عقول النساء لومهن على ذلك ، لأنه لا مدخل لاختيارهن فيه، بل المراد التحذير من الافتتان بهن.

(وليس) نقص الدين منحصرًا فيما يحصل به الإثم، بل فى أعم من ذلك، لأنه أمر نسبىٌّ، فالكامل مثلاً ناقص عن الأكمل، ومن ذلك الحائض لا تأثم بترك صلاتها زمن الحيض، لكنها ناقصة عن المصلية.

(وهل) تُثاب على هذا الترك لكونها مُكلَّفة به، كما يُثاب المريض على النوافل التى كان يعملها فى صحته وشُغل بالمرض عنها؟ ظاهر الحديث أنها لا تثاب، والفرق بينها وبين المريض أنه كان يفعلها بنية الدوام عليها مع أهليته، والحائض ليست كذلك ، بل نيتها تَرْكُ العبادة زمن الحيض [٢٠٥٣] وفى كون هذا الفرق مُستلزمًا لكونها لا تُثاب وقفة، أى: فيه نظر [٢٠٥٤].

ثم يقول: (واعلم) أن الحيض والنفاس لا يمنعان وجوب الصوم، ولذا يلزم الحائض قضاؤه على التراخى دون الصلاة (لقول) معاذة البدوية: سألتُ عائشة رضي الله عنها، فقلت: ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟ قالت: كان يُصيبُنَا ذلك مع رسول الله ﷺ ، فنُؤْمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. [أخرجه السبعة] [٢٠٥٥]

(وقد) أجمع المسلمون على أنه يجب على الحائض قضاء الصوم، ولا يجب عليها قضاء الصلاة.

(والحكمة) فى وجوب قضاء الصوم دون الصلاة: أن الصلاة تتكرر دون الصوم، فإيجاب قضائها مُفْضٍ إلى حرج ومشقة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

(٢٠٥٣) انظر ص ٦٨ ج٢ نووى مسلم (نقصان الإيمان بنقصان الطاعات) .

(٢٠٥٤) انظر ص ٢٨٠ ج١ فتح البارى (ترك الحائض الصوم).

(٢٠٥٥) أى: أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

حَرَجٍ﴾ [٢٠٥٦]، بخلاف الصوم، فإنه يجب فى السَّنة [٢٠٥٧] مرة واحدة ، وربما لا يأتيها فيه إلا أقل الحيض والنفاس .

(وقضاء) الحائض والنفساء الصلاة ينبغى أن يكون خلاف الأَوْلَى عند الحنفيين، والصحيح أنه مكروه عند الشافعية.

(وقد اختلفوا) فيمن طَهُرَتْ من الحيض والنفاس بعد العصر، وبعد العشاء.

(فقالت) الشافعية والحنابلة والفقهاء السبعة [٢٠٥٨] وغيرهم: يلزمها صلاة الظهر والعصر فى الأول، والمغرب والعشاء فى الثانى.

(وقال) الحسن وقتادة والثورى والحنفيون: لا تجب عليها الظهر ولا المغرب الثانى.

(وقالت) المالكية: لو انقطع الحيض ونحوه من الأعذار بعد العصر أو العشاء، وقد بقى من الوقت بعد الطهارة ما يسع الصلاة الأولى وركعة من الثانية وجبت الصلاتان وإلاَّ ـ بأن بقى من الوقت ما يسع الثانية فقط أو ركعة منها ـ لا تقضى الأولى .

(هذا) وإذا كان لى ، بعد أن وقفنا على ما ينبغى علينا أن نعرفه عن المعنى المراد من هذا الحديث: أريد أن أوضح المعنى المراد من افتتان الرجال بالنساء، وهو أنه ينبغى أن يلاحظ الرجل أولاً أن هناك جاذبية فطرية تجذبه إلى المرأة .. وأن المرأة بطبيعتها جَذَّابة .. ولاسيما إذا كانت تتميز ببعض المغريات الجمالية.. التى لابد أن يستحسنها الزوج فيها، حتى لا ينفر منها، وحتى تستمر المودة والمحبة بينهما .. وقد أشار الله تبارك وتعالى إليها فى قوله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [٢٠٥٩].

(٢٠٥٦) الحج: من الآية ٧٨.

(٢٠٥٧) أى: العام . . وفى شهر رمضان.

(٢٠٥٨) الفقهاء السبعة، هم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، والخارجة بن زيد وأبو بكر بن عبد الرحمن، وسليمان بن يسار، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة.

(٢٠٥٩) الروم: ٢١.

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال: **(تُنْكَحُ المرأة لأربع: لمالها ، ولحُسْنها ، ولجمالها ، ولدينها ، فَاظْفَر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك)**

[رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والنسائى وابن ملجه]

(قال) القرطبى: (معنى الحديث: أن هذه الخصال الأربع هى التى تُرغب فى نكاح المرأة لأجلها، فهو خبر عما فى الوجود من ذلك، لا أنه وقع الأمر بذلك، بل ظاهره إباحة النكاح لقصد كل ذلك ، لكن قصد الدين أَوْلَى) .

(ويُؤخذ) من الحديث كذلك ـ وبصفة خاصة ـ استحباب تزوج الجميلة، لأنها أدعى إلى العفة. قال الماوردى: لكنهم كرهوا ذات الجمال البارع، فإنها تزهو بجمالها، وتُحبُّ أن ينظر الناسُ إليها، وفى الحكَم: (إياك والجمال البارع فإنه مرعى أنيق). (ولهذا): كان لابُدَّ بالإضافة إلى مالها ، وحَسَبها ، ـ فضلاً عن جمالها ـ أن تكون ذاتَ دين .. حتى يكون هو قد ربح بهذا ربحًا كبيرًا .. وحتى تكون هى كذلك مُسلَّحة بهذا الدين ضد شياطين الإنس وشياطين الجن .. وبهذا أيضًا تكون هى الزوجة الصالحة المشار إليها فى الحديث الشريف الذى ورد:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(الدُّنيَا مَتاع ، وخَيْر مَتاعها: المرأةُ الصَّالحةُ)** [رواه مسلم والنسائى وابن ماجه]، ولفظه قال: **(إنَّما الدنيا مَتَاع ، وليسَ مِنْ مَتاع الدُّنيا شيءٌ أفضلُ من المرأةِ الصَّالحة)**.

والمرأة الصالحة ، هى المشار إليها أيضًا فى الحديث الذى ورد:

عن أبى أُمامَةَ ﷺ عن النبى ﷺ أنه كان يقول: **(مَا اسْتَفَادَ المؤمنُ بعْدَ تَقْوى الله عزَّ وجلَّ خَيْرًا له من زوجة صَالحة: إنْ أمَرهَا أَطَاعتْه** (٢٠٦٠) **، وإنْ نَظَرَ إليهَا سَرَّته** (٢٠٦١) **، وإنْ أقسَمَ عليْهَا أبرَّتْه** (٢٠٦٢)**، وإنْ غَابَ عنها**

(٢٠٦٠) أى: فيما لا معصية فيه لله عز وجل ، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

(٢٠٦١) أى: لا يقع نظره عليها إلا ويحس بالسرور والفرح، فهى دائمة الابتسام نظيفة البدن والثياب جميلة الحركات.. الخ .

(٢٠٦٢) يعنى: إذا حلف على شىء أن تفعله أو لا تفعله أبَرَّتْ بيمينه ولم توقعه فى الحنث.

نصحَتُه فى نَفسِهَا ومَالِه) (٢٠٦٣).

[رواه ابن ماجه عن على بن زيد عن القاسم عنه]

وعن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ قال: (أربع مَن أُعطيهُنَّ(٢٠٦٤) ، فقد أُعطىَ خَيْرَ الدُّنيا والآخرَة: قلبًا شاكرًا (٢٠٦٥) ، وَلسانًا ذَاكرًا (٢٠٦٦) ، وبدنًا على البَلاء صَابرًا (٢٠٦٧) ، وزوجةً لاَ تبغِيهِ حَوْبًا (٢٠٦٨) فى نفسها (٢٠٦٩) ومَالِه (٢٠٧٠)).

[رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وإسناد أحدهما جيد]

(أما) إذا كانت غير صالحة ، فإنه ينبغى على الرجل الصالح أن يفر منها فراره من الأسد ، أو من كل هلاك محقق .. (وذلك) بالبعد عنها ، وعدم النظر إليها ؛ لأن الناظر إلى المرأة بشهوة لا يلبث أن تقوم فى نفسه الرغبة فى الاتصال بها ، فيحاول ذلك بكل الطرق وبكل وسائل الإغراء حتى يقع فريسة بين يديه، وكانت النظرة هى السهم الأول الذى أرسله إلى تلك الفريسة.. ولهذا ، فقد ورد:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يعنى عن ربه عز وجل) (٢٠٧١): (النظرةُ سَهْم مَسْمومٌ من سِهَام إبليسَ (٢٠٧٢)، مَنْ تركهَا مِنْ

(٢٠٦٣) ونصيحتها له فى نفسها أن لا تخرج من بيتها ما دام غائبًا إلاَّ لضرورة .. ونصيحتها له فى ماله أن تجتهد فى حفظه وتنميته، وأن لا تنفق منه إلا بقدر حاجتها بلا تبذير ولا تقتير .. الخ .

(٢٠٦٤) بالبناء للمجهول ، أى: أعطاه الله إياهن.

(٢٠٦٥) أى: مقراً بنعمة الله تعالى ومعتقدًا لعظمته ومتفكرًا فى مخلوقاته.

(٢٠٦٦) أى: مُثنيًا على الله عز وجل بما هو أهله من تسبيح وتحميد وتهليل مع حضور القلب.

(٢٠٦٧) يعنى: على الامتحان والاختبار بالفقر والمرض ونحوه.

(٢٠٦٨) الحوب بفتح الحاء المهملة وتضم: هو الإثم، وفى رواية : (خونًا) بالخاء المعجمة والنون، أى: لا تطلب له خيانة.

(٢٠٦٩) بأن تُمكِّن غيره من الزنا بها .

(٢٠٧٠) بأن تتصرف فيه بما لا يرضيه .

(٢٠٧١) يعنى: حاكيًا عن الله عز وجل ، فهو حديث قدسى والصحيح أن ألفاظه من عند الله تعالى .

(٢٠٧٢) الذى قرأت عنه أنه قال للمرأة: أنت نصف جندى.

مخافتي [٢٠٧٣] أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه [٢٠٧٤]).

[رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة وقال:صحيح الإسناد]

وإياك إياك والخلوةَ بالنساء، فقد: رُوِيَ عن أبي أُمامَةَ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (إيَّاكَ والخَلْوةَ بالنساء [٢٠٧٥] ، والذي نفسي بيده مَا خَلا رَجُلٌ بامرأة إلا ودخلَ الشَّيْطانُ بينهُمَا [٢٠٧٦]، ولأن يَزْحَمَ رَجلٌ [٢٠٧٧] خنْزيرًا مُتلطخًا بطين ، أو حماة [٢٠٧٨] خَيْرٌ له من أنْ يزحم مَنْكبه [٢٠٧٩] مَنْكِبَ امرأةٍ لا تحلُّ له). [حديث غريب . رواه الطبراني]

وعن مَعْقِل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لأنْ يُطعنَ [٢٠٨٠] في رأس أحدكم بمخْيط منْ حديد [٢٠٨١] خَيْر لَهُ [٢٠٨٢] من أنْ يمسَّ امرأةً لا تحلُّ له [٢٠٨٣])[رواه الطبراني والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح]

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إيَّاكُمْ والدُّخُول علَى النساء [٢٠٨٤]) فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمُ؟ قال: (الحَمُ الموتُ).

[رواه البخاري ومسلم والترمذي]

ثم قال: ومعنى كراهية الدخول على النساء، على نحو ما رُوِي عن النبي ﷺ قال: (لاَ يَخْلونَّ رجُلٌ بامرأة إلاَّ كان ثَالثَهُمَا الشَّيْطَانُ).

(٢٠٧٣) من هنا تعليلية ، أي: تركها لأجل خوفه من عقابي .

(٢٠٧٤) يعني: عوَّضته عما يجده من اللذة في النظر إليها إيمانًا وسكينة يشعر بلذتها في نفسه .

(٢٠٧٥) أي: احذر أن تنفرد بامرأة في مكان ليس فيه غيركما.

(٢٠٧٦) أي: قام بالسفارة بينهما فكان رسوله إليها، ورسولها إليه حتى يوقعهما في المحظور وهو الزنا والعياذ بالله .

(٢٠٧٧) المراد التصق به وباشره.

(٢٠٧٨) الحمأة، هو الطين الأسود المنتن.

(٢٠٧٩) منكب الرجل أو المرأة، هو مجتمع رأس العضد والكتف لأنه يعتمد عليه .

(٢٠٨٠) اللام هنا موطئة للقسم، أي: والله لأن يُطعن.

(٢٠٨١) من هنا لبيان الجنس، وإنما ذكره مع أن المخيط لا يكون إلا من حديد زيادة في التحذير.

(٢٠٨٢) أي: أهون وأخف ضررًا عليه من تعذيبه يوم القيامة على مَسِّ المرأة الأجنبية عنه.

(٢٠٨٣) والمقصود من المسِّ أن تلاصق بشرته بشرتها.

(٢٠٨٤) أي: احذروا الدخول على النساء الأجنبيات والخلوة بهن في بيوتهن.

الشافعى ﷺ ، فلقد قال مشيرًا إلى هذا المعنى الكبير:

عِفُّوا تَعِف نِسَاؤُكُم فى المحْرَمِ ... وتجنَّبُوا مَـا لا يليـقُ بمسْلِـمِ

إنَّ الزِّنَـا دَيْـنٌ فَـإنْ سَلَّفْتَـهُ ... كانَ الوَفَا مِنْ أَهْلِ بيتِكَ فاعْلَـمِ

مَنْ يَـزْنِ بامـرأةٍ بألْفَـىْ دِرْهَمٍ ... فى بَيْتِـه يُزنَـى بغَـيْرِ الدِّرْهَمِ

إلى أن يقول عليه رضوان الله:

لَوْ كُنتَ حُرّاً من سُلاَلَةِ طَاهِـرٍ ... مَا كُنتَ هَتَّاكًا لحُرمـةِ مُسْلِـمِ

وعلى الأخت الزوجة كذلك أن تلاحظ هذا، حتى تتقى الله فى زوجها وأولادها وشرفها.. وحتى لا تكون سببًا فى افتتان الرجال بها .. فيدخلون النار بسببها .. (ولاسيَّما) بالنسبة للشاب الذى لا يملك الباءة التى بها يستطيع أن يتزوج .. والله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (●).

نسأل الله تبارك وتعالى الفوز بالجنة والنجاة من النار .. اللهم آمين،،

(١٤٤) مَن هُوَ أوَّلُ مَنْ سَيُكسَى من الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ .. يا رَسُولَ الله؟

عن ابن عباس ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: (**يا أيها الناسُ ، إنكُم مَحْشُورونَ إلى الله تعَالى حُفاةً عُراةً غُرلاً**) (٢٠٨٧)، ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ (٢٠٨٨). ألا وإن أول الخلائق يُكْسى يومَ القيامة إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام. ألا وإنه سيُجاءُ برجال من أُمتى فيُؤْخَذ بهم ذاتَ الشمال، فأقول: يا رب أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾ إلى قوله:

(●) سورة التحريم آية: ٦.

(٢٠٨٧) غُرلاً بضم فسكون. أى: غير مختونين.

(٢٠٨٨) الأنبياء: ١٠٤.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٠٨٩) قال: (فيقال لى: إنهم لَمْ يَزالوا مرتدِّين على أعْقابِهم منذ فَارقتهم ، فَأقُولُ: سحقًا سُحقًا) (٢٠٩٠).

[أخرجه أحمد والشيخان والنسائى والترمذى]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى ملاحظتين ينبغى على جميع المسلمين أن يلاحظوهما وأن يكونوا من المشغولين بهما:

أولهما: أن أول مَن سيُكْسَى من الخلائق يوم القيامة ـ أى بعد الخروج من القبور ـ هو سيدنا إبراهيم الخليل .. أبو الأنبياء .. وهو الذى سمانا المسلمين من قبل .. (وهو) أفضل خلق الله تعالى بعد نبينا محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.. وهو خليل الله تبارك وتعالى، الذى التقى به الرسول ﷺ فى السماء السابعة .. فى ليلة الإسراء والمعراج .. الخ .

وثانيهما: أن أصحاب البدع سيُطردون بعيدًا عن حوض الرسول ﷺ .. وقد ورد فى هذا:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة (٢٠٩١) فقال: (**السَّلاَمُ عليكُمْ دارَ قوْم مؤمنين ، وإنَّا إنْ شاءَ الله بكُمْ لاحقون ، وَدِدْنا لو أنَّا قَدْ رأينا إخْوَانَنَا**) قالوا: أولسْنَا إخوانَكَ يا رسُولَ الله؟ قال: (**أنتُم أَصْحَابِى، وَإخْوانُنَا الذين لم يأتُوا بَعْد**) قالوا: كيف تعرف من لَم يَأت بعدُ من أُمتك يا رسول الله؟ قال: (**أرأيْتُمْ لو أنَّ رجلاً له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلة** (٢٠٩٢) **بين ظَهْرى خَيْلٍ دُهْم**

(٢٠٨٩) أشار به إلى قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨].

(٢٠٩٠) (إنهم لم يزالوا .. الخ) بيان لقوله: (ما أحدثوا بعدك) والمراد بهم أصحاب الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يكفروا ببدعتهم ، وقيل: المراد المنافقون والمرتدون . وسُحقًا: أى بُعْدًا لهم. ص ٢٩٣ ج٣ تحفة الأحوذى.

(٢٠٩١) أى: ذهب ذات يوم إلى المقابر لزيارتها.

(٢٠٩٢) الغُرة: بياض فى وجه الفرس والتحجيل بياض فى رِجْله وهو نور فى وجه المؤمن وقدميه من باب التشبيه.

بُهْم [٢٠٩٣] ألاَ يعرف خَيْلَه؟) قالوا: بلى يا رسول الله . قال: (فإنهُمْ يأتُونَ غُرّاً مُحجَّلين من الوضوء ، وأنَا فَرَطُهم ـ أى: سابقهُمْ ـ على الحوْضِ ، ألاَ ليُذادنَّ رجالٌ عن حَوْضى كما يُذَادُ ـ أى: يُدفع ـ البعير الضال أُناديهم ألا هَلُمَّ ـ أى: تعالوا ـ فيقال: إنهم بدَّلوا بعدك ـ فأقول: سُحْقًا سُحْقًا) أى: بُعْدًا بُعْـدًا . [رواه مسلم]

(وأما) عن العبد الصالح المشار إليه فى نص الحديث الأول ـ موضوع الفتوى ـ فهو سيدنا عيسى عليه السلام .

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن ينتفعا بكل هذا التذكير الذى فيه ما فيه من الإشارات الهامة. والله ولى التوفيق ،،

(١٤٥) كَيْفَ يَمْشى النَّاسُ على وُجوههمْ؟ ومَا هِىَ أصْنَافُهُمْ .. يَا رَسُولَ اللهِ؟

عن أبى هُريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (يُحشَرَ الناسُ يوم القِيَامَة ثلاثة أصناف: صِنْفٌ مُشَاةٌ ، وصنفٌ رُكْبَانٌ ، وصنفٌ على وجوههم) قيل: يا رسول الله، كيف يمشُونَ على وجوههم؟ قال: (إنَّ الذى أمشَاهُم على أقْدامهمْ قادر أن يُمشيَهُمْ على وجُوهِهم ، إما إنهم يَتَّقُون بوجُوهِهمْ كُلَّ حَدَبٍ وشَوْكٍ). [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ ـ فى أوله ـ إلى الصُّور الثلاثة التى سيكون عليها الناس فى سَوْقهمْ إلى مكان الحساب .. فى يوم القيامة .. لكى يُسأل كُلٌّ عن عمله.. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٢٠٩٤] وقال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [٢٠٩٥] أى: مرهون

(٢٠٩٣) والدُّهم البهم أى: السوداء التى لا علامة فيها .

(٢٠٩٤) الزلزلة: ٧ ، ٨.

(٢٠٩٥) الطور: ٢١ .

بعمله، فإنْ وفَّق للأعمال الصالحة نجا، وإلا وقع فى الردى.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (٢٠٩٦) أى: أُثير وأُخرجَ مَن كان فيها من الموتى ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أى: بَيَّنَ وأظهر ما كان كامنًا فى القلوب من الإيمان وغيره.

(وعن) ابن عباس ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: (**يا أيها الناسُ، إنكم مَحْشُورون إلى الله تعالَى حُفَاةً عُراةً غُرْلاً**) (٢٠٩٧)، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢٠٩٨)، ألا وإنَّ أولَ الخلائق يُكْسَى يومَ القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ألا وإنه سيُجاء برجال من أُمَّتى فيُؤخذ بهم ذاتَ الشمال، فأقول: يا رب أصحابى. فيُقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح (٢٠٩٩): ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢١٠٠)، قال: فيقال لى: إنهم لم يزالوا مُرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: (سُحقًا سُحقًا) (٢١٠١)

[أخرجه أحمد والشيخان والنسائى والترمذى]

(هذا) وإذا كان النبى ﷺ قد أجاب بعد أن سُئل: (**كيف يمشون على وجوههم**)؟ بقوله: (**إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يُمشيَهُم على وجوههم، أما إنَّهم يتقون بوجوههم كل حَدَبٍ وشوك**): فإن هذا معناه أن الذين سيُحْشرون على وجوههم - أى: سيُسحبون عليها إلى المحشر - هم الكُفار.

(٢٠٩٦) العاديات: ٩، ١٠.

(٢٠٩٧) (غُرلاً) بضم فسكون، أى: غير مختونين.

(٢٠٩٨) أى: كما بدأ الله تعالى الخلق فى بطون أمهاتهم حُفاة عراة غُرلاً، كذلك يُعيدهم يوم القيامة والآية فى سورة الأنبياء رقم ١٠٤.

(٢٠٩٩) العبد الصالح، هو: سيدنا عيسى عليه السلام.

(٢١٠٠) أشار به إلى قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨].

(٢١٠١) (إنهم لم يزالوا.. الخ) بيان لقوله (ما أحدثوا بعدك) والمراد بهم أصحاب الكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يكفروا ببدعتهم، وقيل: المراد المنافقون والمرتدون. ص ٢٩٣ ج٣ تحفة الأحوذى. (وسحقًا سحقًا) أى: بُعدًا لهم ثم بُعدًا لهم. ومنه مكان سحيق أى: بعيد.

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أى: هؤلاء المشركون الذين يُحشرون يوم القيامة على وجوههم، فيُساقون إلى جهنم ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢١٠٢) أى: هم شر مُستقرًا فى الدنيا والآخرة من أهل الجنة، وهم أضلُّ منهم فى الدنيا طريقًا.

(كما) يشير إلى هذا أيضًا قول الله تعالى (٢١٠٣): ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ أى: الذين كذَّبوا بهذا القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ أى: كذبوا أيضًا بالذى أرسلنا به رسلنا، من إخلاص العبادة لله، والبراءة من الآلهة والأنداد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ أى: فسوف يعلم هؤلاء المكذِّبون حقيقة ما تخبرهم به، حين تُجعل الأغلال والسلاسل فى أعناقهم فى جهنم ﴿يُسْحَبُونَ ۝ فِي الْحَمِيمِ﴾ أى: يسحبهم زبانية العذاب يوم القيامة فى الحميم الذى انتهى حرُّه، وبلغ غايته ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أى: ثم يُحرقون فى نار جهنم فتُوقد بهم.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أى: ثم قيل لهم: أين الذين كُنتم تُشركون بعبادتكم من آلهتكم وأوثانكم، حتى يُغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أى: فأجاب المساكين: لقد عَدلُوا عنَّا، وتركونا فى هذا البلاء ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

(ومعنى): (إنَّ الذى أمشَاهُم علَى أقدامِهم قَادرٌ على أنْ يُمشِيَهم علَى وُجُوههم ..) أى: كما خلق الله الزواحف فى الدنيا تمشى على بطونها .. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢١٠٤).

وهذا يشير، بل ويؤكد أن الله سبحانه وتعالى لا يُعجزهُ شىء فى الأرض ولا فى السماء.

(٢١٠٢) الفرقان: ٣٤.

(٢١٠٣) فى سورة غافر الآية ٧٠ ـ ٧٤. والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف يسير.

(٢١٠٤) النور: ٤٥.

(ولعل) الذين سيُحشرون راكبين .. على مراكب من الخيل والجمال .. الخ ما شاء الله أن يُعدَّه لهم من أنواع المراكب، هم: الأنبياء ، والصِّديقون، والشهداء، والعلماء العاملون، ونحوهم.

وأما الذين سيمشون.. فإن كل واحد منهم سيكون على قدر درجته، فمنهم من يمشي بَطيئًا ،ومنهم مَنْ يسعى سعيًا .. (قال الحافظ): وقد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام.

(وحتى) تتصور كُلَّ هذا، وتعمل له ألف حساب، فإنني أرجو كذلك أن ننتفع بالأحاديث الآتية:

فقد (رُوى) عن جابر ﷺ عن النبى ﷺ: (**يبعثُ الله يومَ القيامة ناسًا فى صُور الذَّر** (٢١٠٥) **يطؤهم الناس بأقدامهم** (٢١٠٦) **، فيُقال: ما هؤلاء ـ الذين ـ فى صور الذَّرِّ ؟ فقال: هؤلاء المتكبِّرون فى الدُّنْيا**) [رواه البزار]

(وعن) عمرو بن شُعيب عن أبيه عن جَدِّه أن رسول الله ﷺ قال: (**يُحشَر المُتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ فى صُور الرجال ، يغشَاهُم الذُّلُّ من كل مكان** (٢١٠٧) **يُساقُون إلى سجن فى جهنم ، يقال له:بُولُس تعلوهم نَارُ الأنْيار يُسقَوْن من عُصارة أهلِ النارِ طينة الخبَالِ** (٢١٠٨)) .

[رواه النسائى والترمذى وقال: حديث حسن]

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**يُحشَرُ النَّاسُ يوْمَ القيَامة على ثلاث طرائقَ** (٢١٠٩): **راغِبينَ وراهِبينَ ، واثنانِ علَى بَعيرٍ، وثلاثة على بعيرٍ، وعَشْرة على بَعيرٍ، وأربعة على بعيرٍ، ويُحشر بَقِيتهم النار تَقِيل معهم حيثُ قَالُوا ، وتبيتُ معهم حيثُ باتوا ، وتُصبح معهم**

(٢١٠٥) أى: صغار النمل لهوانهم على الله عز وجل جزاء تكبرهم فى الدنيا .

(٢١٠٦) أى: يدوسون عليهم بأقدامهم حال مشيهم إلى المحشر.

(٢١٠٧) أى: يُحيط بهم الصَّغار والهوان من كل ناحية.

(٢١٠٨) وفى رواية: (يُسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار) ولعلها أصح.

(٢١٠٩) (طرائق) جمع طريقة وهى الحالة أو الصفة.

حيث أصبحوا ، وتُمسى معهم حيثُ أمسَوْا) [٢١١٠]. [رواه البخارى ومسلم]

(وعنه) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(يَعْرَقُ الناسُ يَوْمَ القيامَة حتَّى يذهبَ فى الأرْضِ عرقُهُم سَبْعينَ ذِرَاعًا ، وإنه يُلجِمُهُم [٢١١١] حتَّى يبلغ آذانَهم) [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢١١٢] قال: (يقوم أحَدُهُم فى رَشْحه [٢١١٣] إلى أنصاف أذُنيه [٢١١٤]).

[رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، ورواه الترمذى مرفوعًا وموقوفًا، وصحح المرفوع]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا.. حتى يحرصا كل الحرص على أن يكونا من الرُّكْبان إن شاء الله بسبب تلك الأعمال الصالحة التى ستكون كزوارق النجاة بالنسبة لهم.. (بل) وحتى يكونا إن شاء الله من السبعة الأصناف الذين سيَستَظِلُّون بظل عرش الرحمن يومَ لا ظلَّ إلا ظله [٢١١٥].

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ فى ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه: إمامٌ عادل ، وشابٌّ نشأ فى عبادة الله تعالى ، ورجُل قلبُه مُعلَّقٌ فى المساجِد ، ورجُلانِ تحابَّا فى الله اجتمعَا عليه وتَفرَّقَا عليْه، ورجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات مَنْصبٍ وجمال ، فقال: إنى أخافُ الله، ورجُلٌ تصدَّق بصَدقة فأخفاها حتى لا تعلم شِماله ما تنفقُ يمينه [٢١١٦] ، ورجلٌ ذكَر الله خاليًا ففاضت عيناه [٢١١٧]). [متفق عليه]

(٢١١٠) كما قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن].

(٢١١١) يعنى: أنه يغمرهم حتى يصل إلى أفواههم فلا يقدرون على النطق.

(٢١١٢) سورة المطففين الآية ٦ .

(٢١١٣) أى: فى عرقه وذلك حين تدنو الشمس من رءوسهم ويشتد بهم الحر والكرب.

(٢١١٤) أى: إلى صِماخ الأذن .. فوق الشحمة.

(٢١١٥) أى: يوم لا ظل إلا ظل عرشه سبحانه وتعالى .

(٢١١٦) وهو كناية عن إخفاء الصدقة.

(٢١١٧) أى: بالدموع.

أسأل الله تعالى أن يُحقِّق لنا جميعًا هذا الاستظلال .. وأن يُكرمنا جميعًا برحمته .. اللهم آمين ،،

(١٤٦) يا رسولَ الله .. إنِّى أصَبْتُ امرأةً ذاتَ حَسَبٍ ومنصِبٍ ومالٍ إلا أنها لا تَلِدُ .. أفأتزوَّجُهَا؟

عن معقل بن يسار ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى أصَبْتُ امرأة (٢١١٨) ذات حَسَب ومنصب (٢١١٩) ومال إلاَّ أنها لا تلد أفتزوجُهَا؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له: مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال له: **(تزوَّجُوا الودودَ الولُود ، فإنِّى مُكاثِرٌ بكُمُ الأُمَم)**.

[رواه أبو داود والنسائى ، والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد]

ومعنى: **(تزوَّجُوا الودود)** أى: كثيرة الوُدِّ لزوجها، و(الولود) أى: الكثيرة الولادة.

ومعنى: **(فإنى مُكاثر بكم الأُمم)** أى: مفاخرهم ومباهيهم بكثرتكم.

(وهذا) المعنى الأخير هو المراد من الفتوى.. أى: أنه ينبغى علينا ـ نحن الرجال الصالحين والنساء الصالحات ـ أن يكون هدفنا الأسمى من الزواج بعد تمام الزواج الشرعى السليم على أساس من حُسن الاختيار الموفَّق الذى أشار إليه الحبيب المصطفى ﷺ فى قوله: **(تُنكَحُ المرأةُ على إحْدى خصال: لجمالها، ومالها ، وخُلُقِها ، ودينها ، فعليك بذات الدين والخُلق: تَرِبَتْ يمينك)**.

[رواه أحمد بإسناد صحيح والبزار، وأبو يعلى، وابن حبان فى صحيحه]

(قال) النووى: (الصحيح فى معنى هذا الحديث أنه ﷺ أخبر بما تفعله الناس فى العادة، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع).

(٢١١٨) يعنى: صادفتها وعثرت عليها .

(٢١١٩) يعنى: المركز والجاه.

أى: أنه ينبغى بعد حُسن الاختيار هذا [٢١٢٠] بالإضافة إلى تمام الزواج .. أن يكون الهدف هو تحقيق بُغية الرسول ﷺ ، وهى الحرص على أن يكون هناك إنجاب قوى [٢١٢١] وصالح من الذكور والإناث .. حتى يكاثر بنا الرسول ﷺ الأمم يوم القيامة.. أمام جميع الأنبياء .. والله المستعان، وهو ولى التوفيق ،،

(١٤٧) مَن أُصَاحِبُ وأستضيفُ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى سعيد الخدرىِّ رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: (**لا تُصاحِبْ إلاَّ مُؤمنًا، ولا يأكُل طعامَكَ إلا تَقِى**).

[رواه ابن حبان فى صحيحه. وعزاه السيوطى إلى أحمد وأبى داود والترمذى وابن حبان والحاكم، وقال شارح الجامع: أسانيده صحيحة] [٢١٢٢]

(ففى) هذا الحديث الشريف موضوع الفتوى يوصى النبى ﷺ كل واحد منا بأهم ما ينبغى عليه أن ينفذه، وهو:

أن لا يُصاحبَ إلا مؤمنًا: أى لا يخالط ولا يجالس إلا المؤمن الذى (مَن أمِنَهُ الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم) كما ورد فى نص الحديث الشريف .. وأيضًا ورد: (المؤمن كله منفعة: إنْ شاورْتَهُ نفعك ، وإنْ شاركْته نفعك ، وإنْ ماشيْتَه نفعك ، فأمره كله منفعة).

(وقديمًا) قالوا : لا تسَلْ عن المرء وسَلْ قرينه؛ لأنه بقرين الإنسان يُحكم عليه .. فإذا كان القرين صالحًا فإن صاحبه يُحكم عليه بالصلاح .. والعكس كذلك هو الصحيح.

(وأما) عن التقى الذى من الخير أن تدعوه ـ على سبيل البركة ـ لكى يأكل طعامك فى بيتك، فهو الذى يخشى الله تعالى فيك فلا يكون سببًا فى خراب

(٢١٢٠) من الجانبين على أساس من الخلق والدين.

(٢١٢١) أى: ليس كغثاء السيل.

(٢١٢٢) انظر (الترغيب والترهيب) ج٤ ص ٤٨ مع الهامش.

بيتك إذا ما دخله .. بسبب نظراته الخبيثة التى سيتبادلها مع الزوجة التى قد تكون على شاكلَته.. وبالطبع ستكون أنت السبب فى هذا .. لأنك لم تتحرَّ الدقة فى اختيار الصديق.. أو الضيف الذى ينبغى أن يكون على مستواك الإيمانى .

ولهذا قالوا:

وَلاَ تَمْشِ إلاَّ مع رِجَالٍ قُلوبُهم تحِنُّ إلى التقْوى وترتاحُ للذِّكْرِ

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا المراد من تنفيذ وصية الرسول ﷺ حمايةً لشخصيته وأسرته المسلمة.. والله ولى التوفيق،،

(١٤٨) مَاذَا أقُول إذَا رأيتُ صاحبَ بَلاءٍ .. يَا رسُولَ الله؟

عن عُمر وأبى هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**مَن رأى صاحبَ بلاء ، فقال: الحمدُ لله الذى عافانى مما ابتلاكَ به ، وفضَّلنى على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً: لم يُصبه ذلك البلاء**).

[رواه الترمذى. وقال: حديث حسن غريب ، ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر، ورواه البزار والطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة وحده، وقال فيه: فإذا قال ذلك شكر تلك النعمة (٢١٢٣) وإسناده حسن] (٢١٢٤)

(ففى) هذا الحديث ـ موضوع الفتوى ـ يُعلِّمنا الرسول ﷺ كيف نحمد الله تعالى على نعمة العافية؟ وكيف نشكره ـ سبحانه وتعالى ـ عليها إذا ما رأينا صاحبَ بلاء (٢١٢٥) .. بأن يقول أحدنا: (**الحمد لله الذى عافانى**) أى: سلَّمنى ونجَّانى (**مما ابتلاك به**) أى: اختبرك وامتحنك بإنزاله بك (**وفضَّلنى على**

(٢١٢٣) يعنى: نعمة العافية من ذلك البلاء .

(٢١٢٤) وهذا الحديث أخرجه أيضًا أحمد رحمه الله وابن السنى والبيهقى كلهم عن ابن عمر وإسناده حسن ، وطرقه كثيرة يُقوِّى بعضها بعضًا. وقال ابن القيم: إنها صحيحة.

(٢١٢٥) أى: مبتلى بشىء فى جسده كجذام وبرص ونحوهما ، وفى رواية ابن ماجه (من فجأة صاحب بلاء) .

كثير ممن خلق تفضيلاً) وهذا من باب الاعتراف بتفضل الله تعالى عليه بنعمة الصحة والعافية.

(ولهذا) فقد قال النبى ﷺ فى ختام الحديث:(لم يُصبْه ذلك البلاء): وهذا معناه أنه قد حَصَّن نفسه - بهذا القول المحمود - ضد هذا البلاء .. وغيره من الاختبارات التى تتطلب دائمًا وأبدًا اللجوء إلى الله - تبارك وتعالى - الذى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٢١٢٦) مع ملاحظة أن هذا يعتبر كذلك بمثابة شكر لله تعالى على تلك النعمة .. أى: نعمة العافية من ذلك البلاء.

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. أن يلاحظا هذا ويُنفِّذا المراد منه تنفيذًا لوصية الرسول ﷺ الذى لا ﴿يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢١٢٧) . والله ولى التوفيق،،

(١٤٩) ما حُكْم المرأة التى تسألُ زوْجَهَا طَلاقَهَا من غَيْر ما بأس .. يا رسولَ الله؟

عن ثوبان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (أَيُّما امرأة (٢١٢٨) سألتْ زوجَها طلاقَها من غير ما بأسٍ، فحرامٌ عليها رائحةُ الجنة) [رواه أبو داود والترمذى وحسَّنه ، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقي فى حديث قال: (وإن المختلعات، هُنَّ المنافقات، وما من امرأة تسأل زوجها الطلاق من غير بأس فتجد ريحَ الجنة) أو قال : [رائحة الجنة].

(ففى) هذا الحديث الشريف - موضوع الفتوى - يشير النبى ﷺ فى إجابته على هذا التساؤل الهام.. إلى موضوع خطير لابد أن تقف الأخت المسلمة على حكم الإسلام فيه(٢١٢٩) فيقول كما جاء فى النص أنه إذا سألت الزوجة (زوجها

(٢١٢٦) سورة غافر: من الآية ٦٠.

(٢١٢٧) سورة النجم رقم ٣ بلفظ (وما ينطق).

(٢١٢٨) يعنى: أى امرأة، فما زائدة، وأى اسم شرط تفيد العموم.

(٢١٢٩) كما جاء فى (الترغيب والترهيب) ج٣ ص ١٥١ ، ١٥٢ مع الهامش.

طلاقها) .. أى: طلبت منه أن يطلقها ويفصم عُرى الزوجية (من غير ما بأس) بزيادة ما للتأكيد ، أى: من غير شدة حاجة إلى ذلك، كضعف الرجل عن القيام بحقوق الزوجية ، أو شدة بخله، أو دمامته، أو نحو ذلك فتخاف أن لا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حُسْن الصحبة وجميل العِشْرة لكراهتها له .

(ثم) يفتى بعد ذلك ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى هذا بقوله: (**فَحَرامٌ عليها رائحةُ الجنة**): أى: ممنوع عليها أن تجد رائحة الجنة ، وهو كناية عن عدم دخولها.. (قال) ابن رسلان: فيه زجر عظيم ، ووعيد كبير فى سؤال المرأة طلاقَها من غير ضرورة، ولابد فيه من تأويل: (إمَّا أن) يُحمل على مَن استحلَّت إيذاء زوجها بسؤال الطلاق مع علمها بتحريمه فهى كافرة لا تدخل الجنة أصلاً ولا تشم ريحها .. (وإما أن) يُحْمل على أن جزاءها أن لا تشم رائحة الجنة إذا شم الفائزون ريحها، بل يؤخر شمها بعدهم حتى تُجازى وقد يُعفى عنها فتدخلها أولاً .. (وإنما) احتجنا إلى تأويله؛ لأن مذهب الحق أن مَن مات على التوحيد مُصِراً على الكبائر فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فأدخله الجنة، وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة .. اهـ (٢١٣٠)

(ثم) يشير النبى ﷺ بعد ذلك فى رواية البيهقى إلى موضوع هام، يقول فيه:

(**وإن المختلعات**): جمع مختلعة ، وهى المرأة التى تطلب الخُلْع والطلاق من زوجها بغير عذر ـ يقال: خلع امرأته خُلْعًا وخالعها مخالعة واختُلعت هى منه فهى خالع، وأصله من خلع الثوب ـ (والخُلع) أن يُطلِّق زوجته على عِوَض تبذله له، وفائدته إبطال الرجعة إلا بعقد جديد. (واختُلف) فيه هل هو فسخ أو طلاق، وقد يُسمى الخلع طلاقًا .

(ثم) يقول بعد ذلك عن المختلعات: (**هُن المنافقات**) أى: المتذبذبات فى الدين، الواهنات الإيمان ـ أو المتذبذبات بين الرجال، اللائى لا يثبتْنَ على زوج ، بل كلما وجدتْ فى رجل شيئًا لا يعجبها اختلعت نفسها منه .

(٢١٣٠) كما جاء فى هامش ص ١٥١ نفس المرجع.

(فعلى) الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا، حتى لا تكون من هذا الصنف من النساء ـ والعياذ بالله ـ مع ملاحظة ما ورد عن ابن عمر ﷺ عن النبى ﷺ: (**أبغضُ الحلالِ إلى الله الطلاقُ**). [رواه أبو داود وغيره]

(وذلك) لأنه قَطْع لرابطة الزوجية ، وهدْم لكيان الأسرة، وتضييع للأولاد (ومعنى) كونه أبغض الحلال إلى الله أن الله لا يرضاه وإن كان لم يحرمه، والمراد أن لا يلجأ إليه الرجل إلا مضطرًا، وذلك عند تعذُّر الحياة الزوجية واستحالة دوامها .

نسأل الله تعالى أن يعافى النساء المسلمات من كل هذا الانحراف عن الصواب .. اللهم آمين ،،

(١٥٠) بِمَاذَا تُبايعُنا .. يا رسولَ الله؟

عن عُبادَةَ بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (**أبايعكُم على أنْ لا تُشركوا بالله شيئًا ، ولا تَسْرِقُوا ، ولا تَزنوا ، ولا تَقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببُهتان تفترونه بين أيديكم وأرجُلِكم ، ولا تَعصونى فى معروف ، فمن وَفَى منكم فأجرهُ على الله ، ومَنْ أصابَ من ذلك شيئًا فأُخِذَ به فى الدنيا فهو له كفارة وطَهُور ، ومَن ستره الله فذلك إلى الله عز وجل، إن شَاء عَذَّبه ، وإن شاء غَفَر له**) .

[رواه أحمد فى مسنده، والبخارى ، ومسلم، والترمذى، والنسائى]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**أبايعكُم على أنْ لا تُشْركوا بالله شيئًا ، ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّم الله إلا بالحقِّ ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا ، ولا تشربوا** (٢١٣١) **فمَنْ فعل من ذلك شيئًا فأقيم عليه حدُّه فهو كفارة ، ومَن سَتَر اللهُ عليه فحسابه على الله ، ومَنْ لم يفعل من ذلك شيئًا ، ضمنتُ له على الله الجنة**) .

[رواه أبو داود، والطبرانى فى الأوسط، وابن عدى فى الكامل]

(٢١٣١) المراد: شرب الخمر وكل مسكر.

ففى هذين الحديثين الشريفين بايع [٢١٣٢] النبى ﷺ أصحابه وكل مسلم ومسلمة إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها على أن لا يفعلوا كل تلك المنكرات ـ أو بعضها ـ حتى لا يقعوا فى شباك كل تلك الكبائر التى نهاهم عن فعلها.. والتى يؤدى فعلها ـ والعياذ بالله ـ إذا لم يتوبوا إلى الله تعالى توبة صادقة إلى الخسران المبين والضياع فى الدنيا والآخرة فضلاً عن دخول النار وبئس المصير .. (ولاسيما) بالنسبة للشرك الأكبر .. الذى معناه: عدم إفراد الله تعالى بالعبادة .. ولهذا، فقد قال الله تعالى فى قرآنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [٢١٣٣].

وفى حديث قدسى رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح ، ورد:

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: **(يا بن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالى .. يا بن آدم، لو بَلغتْ ذنوبكَ عَنان السماء ثم استغفرتنى غفرتُ لك .. يا بن آدم ، إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض [٢١٣٤] خطايا ، ثم لقيتنى لا تشركُ بى شيئًا لأتيتُكَ بقُرابها مغفرةً)** .

فلابد إذن أن ننفذ جميعًا كمسلمين أو كمؤمنين صادقين ما عاهدنا عليه رسول الله ﷺ .. مع ملاحظة أن الذى بايعنا فى الحقيقة هو الله ـ تبارك وتعالى ـ كما يشير إلى هذا قول الله ـ تبارك وتعالى ـ لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢١٣٥] أى: عند البيعة[٢١٣٦]، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ.

(٢١٣٢) أى: عاهدهم على أن لا يفعلوا تلك المنكرات .. الخ.

(٢١٣٣) النساء: من الآية ٤٨ .

(٢١٣٤) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا.

(٢١٣٥) سورة الفتح من الآية ١٠ .

(٢١٣٦) وهى بيعة الرضوان بالحديبية .. (والعبرة) هنا فى الاستشهاد بعموم اللفظ لا بخصوصه.

نحن كذلك نريد أن نكون من المتشبِّهين بأصحاب رسول الله ﷺ بالالتزام بهذه البيعة .. كما يشير الشاعر إلى هذا فى قوله:

وتشبَّهوا إنْ لَمْ تكُونُوا مِثْلهم إنَّ التشبُّه بالرِّجَالِ فَلاَحُ

وذلك حتى نكون معهم إن شاء الله تعالى من أهل الجنة الصالحين الذين أعد الله تعالى لهم فيها: مالا عين رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر ..

والله ولى التوفيق،،

(١٥١) إنَّ لى مَمْلُوكَيْن يكذبُونَنى ويَخُونُونَنى ويَعصُونَنى وأشتمُهُم وأضربهُمْ .. فكيْفَ أنَا منهُمْ .. يا رسُولَ اللهِ؟

عن عائشة ﵂ قالت: جاء رجل فقال: يا رسول الله، إن لى مملوكين يكذبوننى، ويخونوننى، ويعصوننى، وأشتمهم وأضربُهم، فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (**إذا كان يوم القيامة يُحْسَبُ ما خانوك وكَذَبُوك وعَصَوْكَ ، وعِقابك إيَّاهم. فإنْ كان عقابُكَ إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا ، لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابُك إيَّاهُم دون[٢١٣٧] ذنوبهم، كان فضلاً لك، وإنْ كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتُصَّ لهم منك الفضل [٢١٣٨]. قال: فتنحَّى الرجل يبكى ويهتف.** فقال رسول الله ﷺ: **أما تقرأ كتَاب الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾**[٢١٣٩]. فقال الرجل: والله يا رسول الله، ما أجدُ لى ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أُشهدُكم أنهم كلهم أحرار).

[أخرجه أحمد والترمذى وقال: حديث غريب]

ففى هذا الحديث الشريف، يُشير النبى ﷺ من خلال إجابته إلى ما فى يوم الحساب من أهوال .. وإلى ما ينبغى على كل واحد منا ـ ذكرًا أو أنثى ـ أن

(٢١٣٧) أى: أقل .

(٢١٣٨) أى: الزائد .

(٢١٣٩) الأنبياء: ٤٧ .

يلاحظه ، وأن يَذْكُرَهُ ويُذكِّر به على الدوام، وهو ما أشار إليه رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ فى الآية الكريمة التى ذكَّر الرجُلَ بها، وهى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ أى: ونضع الموازين العدل لأهل القيامة. ﴿**فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**﴾ أى: فلا يُعاقب إنسان بذنب لم يعمله، ولا يُبخَسُ ثوابُ عمل عمله ﴿**وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا**﴾ أى: وإن كان وزن حَبَّة من خردَل، جئنا بها فأحضرناها ﴿**وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ (٢١٤٠) أى: وكفى أن نكون نحن المحاسبين لهم على أعمالهم ، لأنه لا أحدَ أعلمُ بأعمالهم منَّا .

(وهذا) أيضًا يشير إلى أنه فى يوم المحاسبة وعند الميزان سيتحدد مصير الإنسان إذا كان من الذين خسروا أنفسهم أم لا .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ**﴾ أى: والوزن يوم القيامة كائن بالحق والعدل ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ أى: فمَنْ ثقلت موازين أعماله الصالحة ، فأولئك هم الفائزون بجنات الخلد والنعيم ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ (٢١٤١) أى: ومن خَفَّت موازين أعماله الصالحة، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها ، من ثواب الله وكرامته، بجحودهم لله وأدلَّته .

(هذا) ، ولما كان المراد من هذه الفتوى هو الترهيب من الظلم .. فإننى أرى أن أُذكِّر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة الواردة فى هذا الموضوع:

(فعن) جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**اتقوا الظُّلْم ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يوم القيامة ، واتقوا الشُّحَّ ، فإن الشُّحَّ أهلَكَ مَن كان قبلَكُم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستَحلُّوا محارمهم**) [رواه مسلم]

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**لتُؤَدُّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاء(٢١٤٢) من الشَّاةِ القَرناء**) [رواه مسلم]

(٢١٤٠) الأنبياء: ٤٧، والتفسير من مختصر تفسير للطبرى .. بتصرف يسير.

(٢١٤١) الأعراف: ٨ ، ٩ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف يسير .

(٢١٤٢) أى: التى لا قرن لها.

(وعن) أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله ليُملى للظَّالم ، فإذَا أَخَذَهُ لم يُفلتْهُ** ، ثم قرأ: **﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** (٢١٤٣) [متفق عليه]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(أتدرُون مَنِ المُفلسُ)** ؟ قالوا: المُفلسُ فينا مَن لا درهَمَ له ولا متاع ، فقال: **(إنَّ المُفلس من أُمَّتى مَن يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزَكَاة ، ويأتى وقد شَتَمَ هذا ، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا ، وسَفَك دمَ هذا ، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حَسَنَاته ، وهَذا من حَسَنَاته ، فإن فَنيتْ حَسَنَاتُه قبل أن يقضىَ ما عَلَيْه أُخذَ مِنْ خَطَايَاهُم ، فطُرِحَتْ عَلَيْه ، ثم طُرِحَ فى النَّارِ)** [رواه مسلم]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى لا يكونا من الظالمين .. بل وحتى يكونا على عكس هذا من أهل الرحمة .. (ففى) حديث متفق عليه يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: **(مَنْ لا يرحم الناسَ لا يرحَمْهُ اللهُ)** والله ولى التوفيق ،،

(١٥٢) هل يَجُوز أنْ ندفنَ أكثرَ من واحد فى قَبْر واحد .. يا رسُولَ الله؟

عن هشام بن عامر رضي الله عنه قال: جاءت الأنصار إلى النبى ﷺ فى يوم أُحُد، فقالوا: يا رسول الله، أصابنا قَرْحٌ (٢١٤٤) وجَهْدٌ (٢١٤٥) فكيف تأمرنا؟ فقال: **(احْفِرُوا وأوسِعُوا وأعمقوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القَبرِ)** قالوا: فأيُّهم نقدم؟ قال: **(أكثرُهُم قرآنًا)** (٢١٤٦).

[أخرجه أحمد والبيهقى وأبو داود، والترمذى والنسائى. وقال الترمذى: حسن صحيح]

(٢١٤٣) هود: ١٠٢.

(٢١٤٤)، (٢١٤٥) (القَرْحُ) بفتح أوله، أو ضم فسكون فى الأصل: الجُرح، وقيل بالفتح: الجرح، وبالضم أثره وهو الألم . (والجهد): بفتح فسكون: المشقة.

(٢١٤٦) أى: حفظًا للقرآن الكريم.

(وروى) عبد الرحمن بن كعب أن جابر بن عبد الله ﷺ أخبره (أن النبى ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قَتْلَى أُحُد). [أخرجه البخارى]

(قال) فى الدين الخالص [٢١٤٧]: (وفى) الحديثين دليل على جواز دفن الرجلين والمرأتين فى قبر للضرورة ـ ككثرة الموتى، وتعسُّر إفراد كل ميت بقبر، أو قلة الدافنين، أو ضعفهم ـ (ويندبُ) حاجز بين كل اثنين بتراب إن أمكن، (وكذا) يجوز دفن الرجل مع المرأة للضرورة.

(روى) واثلة بن الأسقع أنه كان يُدفَنُ الرجُل والمرأةُ فى القبر الواحد، فيُقَدَّمُ الرجُلُ، وتُجعَلُ المرأة وراءه. [أخرجه عبد الرزاق بسند حسن]

ثم بعد ذلك، يقول فى الدين الخالص: وليس من الضرورة المبيحة لجمع أكثر من ميت فى قبر ضيقُ محل الدفن فى تلك المقبرة مع وجود غيرها [٢١٤٨] مُسَبَّلَةً أو موقوفةً، ولا دفن الرجل مع قريبه اتفاقًا. (فإن) حصلت ضرورة لدفن أكثر من واحد فى القبر يُقدَّم فيه أفضلهم إلى القبلة، فلو اجتمع رجل وصبى وامرأة، قُدِّمَ إلى القِبْلة: الرجل، ثم الصبىُّ ، ثم المرأة.. ويُقَدَّم الأب على الابن، وإن كان الابن أفضل لحرمَة الأبُوَّة. (وتُقَدَّمُ) الأُمُّ على البِنْت.

(ولو) مات جماعة من أهله وأمكنه دفنهم واحدًا واحدًا: فَعَلَ، فإن خَشِىَ تَغَيُّر أحدهم [٢١٤٩] بدأ به، ثم بمن خُشِىَ تغيُّره، وإن لم يخشَ تغيُّر أحَد بدأ بأبيه، ثم أمه، ثم الأقرب فالأقرب .. فإن كانا أخوين قَدَّم أكبرهما .. فإن استويا أو كانتا زوجتين أُقرِع بينهما [٢١٥٠].

ثم بعد ذلك، يشير فى الدين الخالص، إلى ملاحظات هامَّة لابد أن يقف الأخ المسلم عليها .. فيقول ، تحت عنوان:

(٢١٤٧) جـ٨ ص ٣١ وما بعدها .

(٢١٤٨) أى: التى بُنيت فى سبيل الله .. كسبيل .

(٢١٤٩) أى: تغيُّر جسده بسبب تأخر دفنه .. أو بسبب الحر .. مثلاً .

(٢١٥٠) أى: أجريت قرعة بينهما لمعرفة أيتهما ستُقدم على الأخرى. وهذا جائز شرعًا (انظر ص٢٨٤ ج٥ مجموع النووى).

فوائد

(الأولى): مَن مات فى سفينة، دُفِنَ فى قبر إن أمكن الخروج قبل تَغَيُّره، وإلاَّ أُلقىَ فى البحر بعد غسله وتكفينه والصلاة عليه ـ عند النعمان ومالك وأحمد، لما (روى) أنس بن مالك أن أبا طلحة ركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها ولم يتغيَّر. [أخرجه البيهقى بسند صحيح]

(وقال): روينا عن الحسن البصرى أنه قال: يُغَسَّل ويُكَفَّن ويُصلَّى عليه ويُطرحُ فى البحر . (وفى) رواية: يُجعل فى زمبيل ثم يُقذَف به فى البحر . (وقالت) الشافعية: يُجَهَّز ثم يُجعل بين لوحين ويُلْقى فى البحر ليلقيه إلى الساحل فلعلَّهُ يصادفه من يدفنه.

(الثانية): لو ماتت امرأة حامل واضطرب فى بطنها ما رأوا أنه جنين حَىٌّ: شُقَّ بطنها وأُخرجَ صيانةً لحق الحى عند الحنفيين وأكثر الفقهاء (وقالت) الشافعية: إن رُجِىَ حياة الجنين وجب شقُّ جوفها وإخراجه، وإلا فثلاثة أوجه: أصحها لا تُشَقُّ ولا تُدفن حتى يموت، وقيل: تُشَقُّ ويُخرج، وقيل: يُثَقَّل بطنها بشىء ليموت الجنين. وهو مَردود منكر، وكيف يُؤْمر بقتل حَىٍّ معصوم وإن كان ميئوسًا من حياته من غير سبب منه يقتضى القتل؟ وإذا قلنا بشقِّ جوفها، شُقَّ فى مكان يسهل على الطبيب شقُّه [٢١٥١] .

(وقالت) الحنبلية: لو ماتت وفى بطنها جنين تُرجَى حياته حَرُمَ شَقُّ بطنها، بل تُخرجه النساء لا الرجال . وهو مُعتَمد مذهب مالك لأن حياة الجنين مشكوكة فلا تُهتك حرمتها لهذا المشكوك فيه. وإن لم يمكن إخراجه: لا تدفن حتى يتحقق موته ولو تَغَيَّرت (وعن) مالك: إن رُجِىَ حياته بِشَقِّ بطنها من خاصرتها اليسرى إن كان الحمل أنثى، ومن اليمين إن كان الحمل ذكرًا.

(واتفق) العلماء: على أنه إن أمكن إخراجه بحيلة غير الشق وجب [٢١٥٢] ولو خرج بعض الولد حَيًا ولم يمكن إخراجه إلا بِشَقِّ شُقَّ المحل وأخرجَ لما ذَكرنا.

(٢١٥١) انظر ص ٣٠٢ ج٥ مجموع النووى.

(٢١٥٢) انظر ص ١٧٤ ج١ الصاوى على صغير الدردير.

(وإن مات) على تلك الحال وأمكن إخراجه أُخرجَ وغُسِّلَ . (وإن) تعذَّر غسله تُركَ وَغُسِّلَت الأُمُّ وما ظهر من الولد. (وما بقى) ففى حكم الباطن لا يحتاج إلى التيمم من أجله، لأن الجميع كان فى حكم الباطن، فلما ظهر البعض تعلق به حكم الظاهر، وما بقى فهو على ما كان عليه (٢١٥٣).

(والظاهر) مذهب الأولين . والعمدة فى ترجيح حياة الجنين وعدمها قول ثقات الأطباء ، وقد ثبت ذلك فليس أمرًا مَوْهُومًا كما قاله الحنبلية بناء على تجربة ناقصة.

(الثالثة): لو مَاتت نصرانية حامل من مسلم: دُفنت فى قبر وحدها وظهرها إلى القبلة على جانبها الأيسر ـ على المختار عند أحمد ـ ليكون وجه الجنين إلى القِبْلة على جانبه الأيمن؛ لأن وجهه إلى ظهرها وهى كافرة فلا تُدفن فى مقابر المسلمين، وولدها محكوم بإسلامه فلا يُدفن بين الكفار (روى) سليمان بن موسى عن وائلة بن الأسقع أنه دفن امرأة نصرانية فى بطنها ولد مسلم فى مقبرة ليْست بمقبرة النصارى ولا المسلمين . [آخرجه البيهقى] (٢١٥٤)

(الرابعة): يستحب اتفاقًا جَمْع الموتى الأقارب فى مكان واحد بأن يُقارب بين قبورهم لأنه أيسر لزيارتهم وأكثر للترحُّم عليهم، ولأن النبى ﷺ لما دَفَن عثمان بن مظعون وضع صخرةً عند رأسه، وقال: أتعلم بها قبره وأدفن إليه من مات من أهلى.

(والخامسة): إن بَلَغَ شخص مالاً فمات لا يُشَقُّ بطنه ولو كان المال لغيره ولم يدع مَا يفى به .. فعلى ورثته قيمته عند الحنفيين وابن حبيب المالكى وهو مشهور مذهب أحمد (ورُوى) عن الشافعى (لحديث) عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: **(كَسْرُ عَظْم الميت ككسره حَيًّا)**.

[آخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى من عدة طرق بسند صحيح إلا سعد بن سعيد الأنصارى، فقد ضعَّفه أحمد ووثَّقه الكثيرون]

(٢١٥٣) انظر ص ٤١٣ ج٢ مغنى ابن قدامة.

(٢١٥٤) انظر ص ٥٩ ج٤ بيهقى (النصرانية تموت وفى بطنها ولد مسلم).

(وجه) الدلالة: أن كسر العظم وشَقَّ الجوف فى الحياة لا يجوز لاستخراج جوهرة وغيرها، فكذا بعد الموت.. (ومشهور) مذهب مالك: أنه يشق بطنه إن ثبت ـ ولو بشاهد ويمين ـ أنه ابتلع مالاً نصابَ زكاة.

(والصحيح) عند الشافعى: أنه يُشَقُّ بطنه إن بلعَ مالاً لغيره وطلبه صاحبه. وهو قول لأحمد لأن فيه رفع الضرر عن المالك بردِّ ماله إليه وعن الميت بإبراء ذمَّته، وعن الورثة بحفظ التركة لهم. فعلى هذا الوجه إذا بَلِى جسده وغلب على الظن ظهور المال وتخليصه من أعضاء الميت جاز نبشه وإخراجه.

(ففى) حديث عبدالله بن عمرو أن النبى ﷺ قال: (**هَذا قَبْر أبى رِغال دُفِنَ معه غُصْن من ذهب ، إنْ أنتُم نَبشتُم عنه أصَبْتُموه معه ، فابتدرَهُ النَّاسُ فاسْتخرَجُوا الغُصْن**) [أخرجه أبو داود]

فعلى الأخ المسلم .. أن يلاحظ كل هذا .. حتى ينفذه عند اللزوم.. (وحتى) إذا ما سُئل عن هذا.. استطاع أن يجيب على أساس من هذا الفقه المطلوب (٢١٥٥) . والله ولى التوفيق ،،

(١٥٣) مَتَى يكونُ السَّعْىُ على الرزْق فى سَبيل الله .. ومتى يكُونُ فى سَبيل الشَّيْطان .. يا رسولَ الله؟

عن كَعْب بن عُجْرةَ رضي الله عنه قال: مَرَّ على النبى ﷺ رَجُلٌ، فرأى أصحابُهُ مِنْ جَلَده (٢١٥٦) ونشاطه ما أعجبهم ، فقالوا: يا رسول الله ، لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال : (**إنْ كانَ خرجَ يسعى على ولَده صغَارًا فهو فى سبيل الله ، وإنْ كانَ خرج يسَعى على أبوين شيخين كبيرَيْن فهو فى سبيل الله، وإنْ كانَ خرجَ يسعى على نفسه يُعِفُّها فهو فى سبيل الله ، وإنْ كان خرج يَسْعَى على أهْله ففى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى تَفَاخُرًا وتَكَبُّرًا فهو فى سبيل الشيطان**).

(٢١٥٥) ويستطيع أن يعود إلى نفس المرجع .. لكي يقف على بقية الأحكام.

(٢١٥٦) أى : قوته ، ويقال: رجل جَلْد بفتح فسكون. أى: شديد القوى.

[أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والحديث فى الصغير برقم ٢٦٦٩ ورمز له بالصحة برواية الطبرانى فى الكبير عن كعب بن عجرة.. قال الطبرانى: لا يُروى عن كعب إلا بهذا الإسناد تفرد به محمد بن كثير.. انتهى، قال الهيثمى: ورواه الطبرانى فى الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح، وسبقه إليْه المنذرى]

وإذا كان لىَ بتوفيق من الله ـ تبارك وتعالى ـ أن أدور حول هذا الحديث العظيم .. وما يتعلق به من إشارات وتنبيهات .. حتى يكون سعيه على الرزق .. فى سبيل الله .. لا فى سبيل الشيطان ـ والعياذ بالله ـ (فإننى) أرى أن أبدأ أولاً فى شرح هذه الصور التى وردت فى هذا النص المبارك .. وهى:

١ـ **(إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو فى سبيل الله)** ، أى: إن كان خرج من بيته يسعى على ولَده صغارًا، أى: على أولاده .. ويُقال: وُلْده أيضًا بضَمٍّ فسكون .. ومعنى يسعى عليهم، أى: يكسب لهم قُوتَهم .. (وهذا) أمر لابُدَّ أن يكون حريصًا عليه .. حتى لا يكونوا عالة على غيره.. ما دام يقدر على هذا .. (وإلاَّ) فإنه سيكون قد أخَلَّ بتلك المسئولية التى من المفروض أنه قد تحملها بتكليف من الله تبارك وتعالى .. عن طريق هذا الإنجاب الشرعى .. الذى كان ثمرة لزواج شرعى .

قال تعالى: ﴿**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (٢١٥٧) أى: وعلى آباء الصبيان، رزق المرضعات وكسوتهن، على قدر الميسرة.. (وقال): ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾ أى: لينفق الذى طلَّق امرأته إذا كان ذا سَعَة وغنى، من سعة ماله وغناه، على امرأته وعلى ولده الصغير .. ﴿**وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ**﴾ أى: ومَن ضُيِّق عليه رزقه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾ أى: لا يُكلِّف الله أحدًا من النفقة ، إلا على قدر طاقته . قال السُّدى: لا يُكَلِّفُ الفقير مثل ما يُكَلِّف الغنى ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ (٢١٥٨) .

(٢١٥٧) البقرة: من الآية ٢٣٣.

(٢١٥٨) سورة الطلاق: ٧ .

ففى الآية الأولى والثانية: يشير الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى ضرورة أن ينفق الرجل على أولاده .. حتى ولو طُلِّقت الزوجة ـ بحسب طاقته ـ لأن المسئولية ستظل مستمرة .

(وعن) أبى عبدالله ـ ويقال أبى عبد الرحمن ـ ثوبان بن بُجْدُد مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أفضلُ دينارٍ ينفقه الرجلُ: دينارٌ يُنفقه على عياله ، ودينارٌ يُنفقه على دابته فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله**) [رواه مسلم]

(وعن) عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**كَفَى بالمرء إثْمًا أن يُضَيِّع مَن يقوت**) [حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره]

ورواه مسلم فى صحيحه بمعناه ، قال: (**كفى بالمرءِ إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قُوتَه**) .

وكذلك من أهم حقوق الزوجة على زوجها أن ينفق عليها من ماله .. ويكسوها إذا اكتسى.

(فعن) معاوية بن حَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما حَقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: (**أن تُطعمها إذا طعمتَ ، وتكسوها إذا اكتسيتَ ، ولا تضرب الوجه، ولا تُقَبِّحْ، ولا تَهجُرْ إلاَّ فى البيت**).

[حديث حسن رواه أبو داود وقال: معنى لا تُقَبِّح: لا تقُلْ قَبَّحك الله]

٢ ـ (**وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو فى سبيل الله**) ، أى: إنْ كانا فقيرين لا يقدران على كسب قوتهما .. فإنه يجب عليه أن يخرج من بيته يقصد تحصيل قوتهما .. لأنه مسئول عنهما .. بالإضافة إلى أنهما أصله الذى ينبغى أن يكون عزيزًا به بين الناس .. (وإلا) فإنه سيكون قد أهانهما .. وأهان نفسه .. بتعرُّضهما لسؤال الناس.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٢١٥٩) ، ومن

(٢١٥٩) سورة الإسراء: من الآية ٢٣.

مراتب الإحسان بهما .. الإنفاق عليهما .. إذا كانا فقيرين .. فهما أَوْلَى من غيرهما .

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، مَن أحَقُّ الناس بحُسْنِ صَحابتى؟ قال: (**أمُّك**)، قال: ثم مَنْ ؟ قال: (**أمُّك**)، قال: ثم مَنْ ؟ قال: (**أمُّك**)، قال: ثم مَنْ؟ قال: (**أبوك**). [متفق عليه]

وفى رواية: يا رسول الله، مَنْ أحقُّ الناس بحُسْنِ الصُّحبة؟ قال: **أُمُّكَ ثم أُمُّكَ ، ثم أباك**، ثم أدناك (والصحابةُ):بمعنى الصحبة، وقوله «ثم أباكَ» هكذا هو منصوب بفعل محذوف، أى: ثم برَّ أباكَ، وفى رواية: ثم أبوك، وهذا واضح.

(وعن) أبى هريرة أيضًا عن النبى ﷺ قال: (**رَغِمَ أنفُ** (٢١٦٠)، **ثم رَغِم أنفُ، ثم رَغِم أَنْفُ مَنْ أدرك أبويه عند الكِبر أحدهما أو كِلَيْهِمَا ، فلم يدخل الجنة**). [رواه مسلم]

(وتأكيدًا) لما قلته قبل ذلك، وهو أنهما أَوْلَى من غيرهما بالإحسان.. (فقد) جاء فى حديث صحيح متفق عليه.. على لسان أحد الثلاثة الذين دخلوا غارًا لكى يبيتوا فيه فانحدرت صخرة من فوق الجبل فسدَّتْ عليهم الغار (٢١٦١): (اللهم كان لى أبوانِ شيخان كبيران ، وكنتُ لا أغبق (٢١٦٢) قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بى طلب الشجر يومًا فلم أرُح عليهما حتى نامَا، فحلبتُ لهما غَبُوقَهُما، فوجدتُّهما نائمَيْن، فكرهتُ أن أوقظَهُما وأن أغبقَ قبلهما أهلاً أو مالاً فَلَبِثْتُ والقدحُ على يَدى أنتظرُ استيقاظهما حتى بَرَقَ الفجرُ، والصِّبْيَة يتضاغَوْنَ(٢١٦٣) عند قَدَمَىَّ، فاستيقظا فشَربا غبوقَهُما..)

٣ - **(وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعِفُّها (٢١٦٤) فهو فى سبيل الله)**، أى: إن كان خرج يسعى على نفسه لكى يُغنيها عن ذل المسألة وشر الحاجة

(٢١٦٠) أى: ذلَّ وانقاد لأنه مسَّ التراب به.

(٢١٦١) والحديث فى «رياض الصالحين» بتمامه فى باب الإخلاص(ص ٩ ، ١٠ ، ١١) فارجع إليه.

(٢١٦٢) الغبوق: هو شراب اللبن الذى يُشرب بالعشى.

(٢١٦٣) أى: يبكون.

(٢١٦٤) أى: عن المسألة.

فهو فى سبيل الله .. (وذلك) لأنه لا عِزَّة له ولا كرامة إلا إذا أخذ بالأسباب التى تغنيه عن سؤال الناس.

(وقد) ورد فى السنة ما يُرغِّب فى هذا:

(فعن) المقدام بن معد يكربَ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **(ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكُل من عمل يده ، وإن نبيَّ الله داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يأكلُ من عَمَلِ يده)** [رواه البخارى وغيره . وابن ماجه]

(وكان) داود ـ عليه السلام ـ قد سأل الله عز وجل أن يُعلِّمه حرفة يتعيش منها هو وأهله، فألان اللهُ له الحديدَ، وعلَّمه صنعة الدروع التى تُلْبَسُ فى الحرب، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (٢١٦٥) وقال: ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ** ﴾ (٢١٦٦) .

ولفظ ابن ماجه فى الحديث الذى قبل الآيتين، قال: **(ما كسب الرجل كَسْبًا أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجلُ على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة)** ، قال الحافظ فى الفتح: (وفى الحديث فضل العمل باليد ، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يُباشره بغيره .. (والحكمة) فى تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله لم يكن من الحاجة ، لأنه كان خليفة فى الأرض ، كما قال الله تعالى فى قرآنه .. وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل.. ولهذا أورد النبى ﷺ قصتَه فى مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد .. وهذا بعد تقرير أن شرع مَنْ قبلنا شرعٌ لنا ، ولاسيَّما إذا وردَ فى شرعنا مدحه وتحسينه مع عموم قوله تعالى: ﴿**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ (٢١٦٧) ، وفى الحديث أن التَّكَسُّبَ لا يَقْدَحُ فى التَّوكُّل ، وأن ذكر الشىء بدليله أوقع فى نفس سامعه) اهـ .

(٢١٦٥) سورة سبأ: من الآية ١٠ ، ١١ .

(٢١٦٦) سورة الأنبياء: ٨٠ .

(٢١٦٧) الأنعام: من الآية ٩٠ .

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**لأنْ يحتطبَ أحدُكم حُزمة على ظهره** [٢١٦٨] : **خَيْرٌ له من أنْ يسألَ أحدًا فيُعطيَهُ ، أو يمنعه**)[٢١٦٩] [رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى]

(وعن) الزُّبَيْر بن العَوَّام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لأنْ يأخذَ أحدُكم أَحْبُلَهُ** [٢١٧٠] **فيأتى بحزمَة من حَطب عَلى ظهره فَيبيعَهَا فيكُفَّ الله بها وجهه** [٢١٧١]: **خَير له من أنْ يسأل الناسَ أعطوْهُ أم منعوه**) [رواه البخارى]

(وعن) أنس ﷺ أن رجلاً من الأنصار أتى النبى ﷺ فسأله ، فقال: (**أما فى بيتك شىء؟**) قال: بلى، حِلْسٌ[٢١٧٢] نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقَعْبٌ[٢١٧٣] نشرب فيه من الماء ، قال: (**ائتنى بهما**) ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ، وقال: (**مَن يشترى هذين؟**) قال رجل: أنا آخذهما بدرهَم. قال رسول الله ﷺ: (**من يزيد على درهم مرتين ، أو ثلاثًا ؟**) قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارىَّ وقال: (**اشْتَرِ بأحدهما طَعَامًا فانبذْه** [٢١٧٤] **إلى أهلكَ ، واشْتَرِ بالآخرِ قَدُومًا، فَأتنى به، فأتاه به، فشَدَّ فيه رسولُ الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال: اذهبْ فاحتطِبْ وبِعْ، ولا أرينَّك خمسة عشر يومًا**) ففعل ، فجاء وقد أصاب [٢١٧٥] عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال له رسول الله ﷺ: (**هذا خَيْر لكَ من أن تَجِىء المسألةُ نُكْتَة** [٢١٧٦] **فى وجْهِكَ يوم القِيامَة**).

[الحديث رواه أبو داود واللفظ له، والنسائى ، والترمذى، وقال: حديث حسن]

(٢١٦٨) أى: والله لأن يجمع أحدكم حزمة حطب يحملها على ظهره.

(٢١٦٩) يعنى: خير له من السؤال مطلقًا سواء أُعطِى ما سأل أو لم يُعط .

(٢١٧٠) وهو جمع حبل جمع قلة.

(٢١٧١) أى: يقيه من ذل السؤال ومهانته.

(٢١٧٢) وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل، وما يبسط فى البيت على الأرض تحت حر الثياب أو المتاع.

(٢١٧٣) وهو القدح الضخم الغليظ.

(٢١٧٤) أى: اطرحه إلى أهلك.

(٢١٧٥) أى: حصل وجمع.

(٢١٧٦) هى النقطة فى الشىء على خلاف لونه، كالبيضاء فى الأسود، أو السوداء فى الأبيض .

(وهكذا) ، كان النبى ﷺ يوجه أصحابه ويرشدهم إلى أهم أسبَاب العزة والكرامة .. (بتلك) الصورة العملية التى تؤكد أمرًا هامًا.. وهو أن الإسلام هو دين العمل .. (وأنه) ليس من الإسلام أن يكون المسلم متواكلاً بتلك الصورة التى تخالف المعنى الحقيقى للتَّوكُّل.. وهو الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر إلى الله تبارك وتعالى .

(فعن) عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لو أنكم تتوكلون على الله حَقَّ توكُّله: لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ ، تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا)** [رواه الترمذى وقال: حديث حسن] (معناه) تذهب أولَ النهار خِماصًا أى: ضامِرَة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بِطانًا ،أى: ممتلئة البطون .

(ولهذا) فإن الإسلام يأمرنا بالعمل .. حتى فى يوم الجمعة الذى يستريح فيه أكثرنا [٢١٧٧] .. فيقول تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وهذا معناه أنه كان هناك بيع وشراء فى يوم الجمعة .. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ثم بعد ذلك قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٢١٧٨] ، كما يقول ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة الملك: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا [٢١٧٩] وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [٢١٨٠] .

كما يشير الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى ختام سورة المزمل إلى ملاحظة هامَّة لابد أن يقف الأخ المسلم عليها حتى يعرف أهمية السعى على الرزق الحلال.. فيقول: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٢١٨١] .

(٢١٧٧) نحن الموظفين بصفة خاصة.

(٢١٧٨) سورة الجمعة: الآيتان: ٩ ، ١٠.

(٢١٧٩) أى: فى مناكب الأرض .

(٢١٨٠) سورة الملك: من الآية ١٥.

(٢١٨١) سورة المزمل: من الآية ٢٠.

(فقد) قَدَّم الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة السَّعى على الرزق على الجهاد فى سبيل الله .. وهذا شرف عظيم للعاملين .

(فليكُنْ) الأخ المسلم .. على صلة بتلك الحقائق الهامة .. حتى يكون مُنَفِّذًا للمراد منها .. وحتى يكون من أصحاب الرءوس المرتفعة فى هذا الوجود الذى نلمس فيه أن بعض الناس ـ للأسف الشديد ـ لا يُجِلُّون ولا يحترمُون غير صاحب المال .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

إن الغَنِـىَّ إذا تكَلَّـم بالخطَا ... قالوا صدقتَ وما نطقتَ مُحَالاً

أما الفقـير إذا تكلَّم صَادقـًا ... قالوا كذبتَ وأبطَلُـوا مـا قَالا

إن الدراهِم فى المواطِـن كُلِّها ... تكسُو الرجال مَهَابَـةً وجَـلاَلاَ

فهى اللسانُ لمن أراد فَصَاحَةً ... وهى السـلاحُ لمـن أراد قِتـالاً

٤ ـ **(وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً (٢١٨٢) ، فهو فى سبيل الشيطان)**، أى: وإن كان خرج يسعى تفاخُرًا وتَكَبُّرًا (٢١٨٣) .. ليرى الناس جَلَده ونشاطه ويباهيهم بذلك .. (فهو فى سبيل الشيطان) ، ولا يمكن أبدًا أن يكون فعله هذا .. (فى سبيل الله)؛ لأن الله تعالى يقول فى الحديث القدسى ، كما ورد:

(عن) أبى هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(قالَ اللهُ تعالى: أنا أغنى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عملاً أشرَكَ فيه معى غيرى تركتُه وشِرْكه)** [رواه مسلم]

(فعلى) الأخ المسلم.. أن يفهم المراد من هذا الحديث الأخير ويتقنه حتى يكون سعيه على الرزق (فى سبيل الله) لا (فى سبيل الشيطان)، والله ولى التوفيق.

(٢١٨٢) كما فى رواية الطبرانى .. (فى الترغيب والترهيب) ج٢ ص ٨٧٥.

(٢١٨٣) وهذا هو المذكور فى النص الذى ندور حوله .. وهو متقارب جداً .

(١٥٤) ما الذى يُحبُّه اللهُ .. يا رَسُولَ الله .. ومَا الذى يَكْرهُه؟

عن عامر بن سعد عن أبيه ﷺ، أن رسول الله ﷺ ، قال: **(إنَّ اللهَ تعالَى كريم يُحبُّ الكُرماء ، جَوادٌ يُحِبُّ الجود ، يُحِبُّ معالِيَ الأخلاق، ويكره سَفْسَافها)** [أخرجه ابن عساكر، وابن النجار، وسعيد بن منصور]

(والسَّفسَافُ): بفتح السين، أى: الردىء الحقير.

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(إن اللهَ كريم يحبُّ الكرمَ ، ويُحبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ ، ويكرهُ سَفْسَافَهَا)**.

[أخرجه الطبرانى فى الكبير . وابن قانع، والحاكم فى المستدرك، وأبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى شُعَب الإيمان، وكذلك أخرجه عبد الرزاق، والبخارى فى تاريخه، والخرائطى فى مكارم الأخلاق، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى فى شُعَب الإيمان عن طلحة بن عبيدالله بن كريز الخُزاعى مُرسَلاً]

ففى هذا الحديث الشريف بروايتيه يخبرنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ـ وبحرف التوكيد ـ وهو الصادق المصدوق: بأن الله تبارك وتعالى كريم يحب الكرماء، وبأنه سبحانه وتعالى جواد يُحبُّ الجود ، وأنه جَلَّ وعلا يُحب معالى الأخلاق، ويكره سَفْسَافَها.

وإذا كان لى ـ كمقتنع تمامًا بكل ما يحمله هذا المعنى من إشارات وتنبيهات ـ أن أدور حول هذا الإخبار من أهم زواياه.. فإننى أرى أن أبدأ أولاً بالتركيز على المعنى المراد من كرم الله ـ تبارك وتعالى ـ وذلك من خلال آيات قرآنية يتحدث الله سبحانه وتعالى فيها عن هذا المعنى الكبير .. فيقول:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أى: فتقدس الله عما يصفه المشركون ، وأنه يخلق شيئًا عبثًا ، فإنه الملك الحق المنزَّه عن ذلك **﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾** (٢١٨٤)

(٢١٨٤) المؤمنون: ١١٦ .

أى: لا معبود بحق إلا الله ، ربُّ العرش المحيط بجميع المخلوقات .

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٢١٨٥) أى: ومن شكر نعمة الله عليه ، فإنما يشكر لنفع نفسه، ومَن كفر إحسانه فلنفسه ظلم ، والله غنى عن شكره ، والله تعالى لا يضره كُفر مَن كَفر، كريم يتفضل بنعمه على خَلْقه.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أى: كل مَن على ظهر الأرض ، من جنٍّ وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام، أى: ذو العظمة والكبرياء، والإفضال والإنعام ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢١٨٦) أى: فبأىِّ نعَم ربِّكُمَا معشر الثَّقلَيْن تُكذِّبان؟.

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢١٨٧) أى: تبارك ذكر ربك يا محمد، ذى العظمة والكبرياء، الذى له الإكرام من جميع خلقه.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أى: يا أيها الإنسان الكافر ، ما خدعك بربك الكريم، فعصيتَهُ بجهلكَ وحُمقكَ !! ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ أى: الذى خلقك أيها الإنسان فسوَّى خلقك ، فجعلك مُعدَّلَ الخلق مُقوَّمًا ـ أى: جعلتك سَوِيًا سالمَ الأعضاء ، معتدل القامة، فى أحسن الهيئات والأشكال ـ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (٢١٨٨) أى: صورة قبيحة أو حسنة شاء الله أوجدك ، قال قتادة: إن شاء فى صورة كلب، وإن شاء فى صورة حمار، وإن شاء فى صورة خنزير (هذا ما قاله بعض السلف).

فهو سبحانه وتعالى لو أراد لفعل، ولكنه بقدرته ، ورحمته وحكمته ، وكرمه .. خلقه بشكل حسن مستقيم ، معتدل القامة ، فى أحسن صورة .. أفلا يشكر ربه على هذا الخلق الحسن الجميل ؟ وقال بعض المفسرين: المعنى فى أى

(٢١٨٥) النمل: من الآية ٤٠ .

(٢١٨٦) الرحمن: ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢١٨٧) الرحمن: ٧٨ .

(٢١٨٨) الانفطار: ٦ ، ٧ ، ٨ .

صورة شاءها واختارها لك ، من الصور الحسنة العجيبة الجميلة ، خلقك وركَّبك، ولم يجعلك فى الشكل كالدابة والبهيمة . ويؤيده قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٢١٨٩) وهذا المعنى أظهر ، والله أعلم .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ أى: اقرأ يا محمد وربُّك العظيم الأكرم ﴿ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ أى الذى علَّم خلقه الكتابَ والخط ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٢١٩٠) أى: علَّم الإنسان الخط بالقلم ، مع أشياء ممَّا علَّمه مع العلوم والمعارف.

فكل هذا المشار إليه فى تلك الآيات البينات فى مدلولها من كرم الله وفضله .. وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢١٩١) أى : لا تطيقوا إحصاء عددها ، والقيام بشكرها .

(وقال): ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (٢١٩٢) أى: وما بكم من عافية وصحة ونماء فى المال، فالله المنعم بذلك لا غير .

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أى: لكم من أصوافها وأوبارها ملابس تدفئون بها ﴿ وَمَنَافِعُ ﴾ من ألبانها وركوب ظهورها ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أى: لحومها ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ أى: ولكم فى الأنعام زينة وجمال ﴿ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ أى: وقت تَردُّونها إلى منازلها بالمساء ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أى: وقت خروجها صباحًا للمرعى ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أى: وتحمل هذه الأنعام أمتعتكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ ﴾ أى: إلى بلد بعيد لم تكونوا لتبلغوه ﴿إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ أى: إلا بجهد شديد، ومشقة عظيمة ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أى: إن ربكم لذو رأفة ورحمة بكم ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ ﴾ أى: وخلق الخيل والبغال والحمير لكم

(٢١٨٩) سورة التين: الآية ٤ .

(٢١٩٠) سورة العلق: ١ ـ ٥ .وكل هذا التفسير والذى قبله من (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف وإضافات وجيزة.

(٢١٩١) النحل: من الآية ١٨ .

(٢١٩٢) النحل: من الآية ٥٣ .

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ أى: لتركبوا ظهرها، وجعلها زينة لكم ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٩٣)

(وهذه) الخاتمة الأخيرة لابد أن تكون سببًا فى تساؤل لابد أن نطرحه على أنفسنا ثم نجيب عليه أيضًا بأنفسنا .. (وهو) عن الذى جدَّ فى عصرنا من وسائل النقل التى هى فى غاية السرعة .. كالقطارات، والسيارات، والطائرات النفاثة .. وغيرها من الاختراعات التى صنعها الإنسان .. أليست كذلك من خلق الله ..؟ فنجيب على هذا بقول القائل الموحِّد الواعى:

كُلُّ العَجَائِبِ صَنْعَةُ العَقْلِ الذى ... هُوَ صَنْعَةُ اللهِ الذى سَوَّاكَا
وَالكَوْنُ مَشْحُونٌ بِآيَاتٍ لعلَّ أقلَّها ... هُوَ مَا إلَيْهِ هَدَاكَا
ولعلَّ ما فى الكَوْنِ مِنْ آياتِهِ ... عَجَبٌ عُجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا

﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ أى: بالإضافة إلى أن الله تعالى ذَلَّله ويَسَّره لركوبكم، فهو أيضًا مصدر رزق لكم .. عن طريق السمك الذى تصطادونه منه ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أى: وتستخرجوا منه اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ أى: وترى السفن تشق الماء فى البحر مقبلة ومدبرة ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ أى: ولتتصرفوا بالتجارة فى طلب معايشكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢١٩٤) أى: ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ أى: وإن لكم أيها الناس فى الإبل والبقر والغنم لعظة ﴿نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أى: نسقيكم من بطون هذه الأنعام ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ أى: من بين الروث والدم نسقيكم لبنًا خالصًا ، لم يخالط الدم والفرث (٢١٩٥) ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ أى: لا يُغَصُّ به شاربه ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ أى: ومن ثمرات النخيل والأعناب كذلك

(٢١٩٣) النحل ٥ ـ ٨.

(٢١٩٤) النحل: ١٤.

(٢١٩٥) الفرث: الفضلات التى تخرج من الحيوان ويسمى الروث.

عبرة لكم، تتخذون منه النبيذ والخَلَّ، والزبيب والتمر [٢١٩٦] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٢١٩٧] أى: إن فيما ذُكِر لدلالة واضحة، لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون مواعظه .

(وهكذا) ، فإننا إذا أردنا أن نَستعرض ـ بتوضيح ـ تلك الآيات القرآنية التى يتحدث الله فيها .. أو يشير فيها .. إلى فضله وكرمه الذى لا حصر له .. فإننا لن نستطيع أن نستعرضه، أو نُحيط به .. لأنه لا حصر له .. ولاسيما إذا كان هذا الاستعراض من الزوايا الروحية التى تتطلب عمقًا وفهمًا لا وُسْعَ لنا به.

(ولهذا) حَسْبُ الإنسان المؤمن أن يدرك تمامًا أنه بدون كرم الله تعالى وفضله .. فإنه سيكون من الهالكين .

(وقد) قرأت توضيحًا لهذا، تحت عنوان:

الله كريم حليم

حكى بعض العلماء: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أوحى إلى جبريل عليه السلام أن اهبط إلى البلاد الفلانية فاقلب عاليها سافلَها ، فإنه قد اشتد غضبى عليهم فى هذه الليلة. فقال جبريل: سبحانك يا رب، وأى ذنب فعلوا؟ فقال: إنه قد ركب فيهم فى هذه الليلة سبعون ألف ذكر سبعين ألف فرج زِنًا ... (والعياذ بالله) .

قال: فذهب إلى تلك القرى ، وكانت سبع مدائن فرفعها على خافية [٢١٩٨] جناحه حتى وصل بها إلى عنان السماء ، وأراد أن يقلبها . (وكان) لامرأة منهم عجين، فقامت إليه، ولها طفل نائم فى المهد (فلما) أن وضعت يدها فى العجين استيقظ الطفل من مهده وصاح.. فحارت المرأة فى أمرها ، وماذا تفعل ويدُها فى العجين، وولدها يصيح .. (فقالت) من عِظَم حرقتها تخاطب ولدها:يا ولدى

(٢١٩٦) رجح الطبرى أن المراد بالسكر النبيذ والخل وأن الآية غير منسوخة، ورجح غيره أن المراد بالسكر: الخمر، والرزق الحسن: التمر والزبيب، وأن الآية نزلت قبل تحريم الخمر، وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر .

(٢١٩٧) النحل: ٦٦ ، ٦٧ .

(٢١٩٨) الخوافى: ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح (مختار الصحاح) ص ١٨٣ .

إن ربى سبحانه وتعالى من كرمه حليم لا يعجل بالعقوبة على مَن عصاه . (فلما) تكلمت المرأة بذلك سكن غضب الله عز وجل .. وقال لجبريل: ضع القرى مكانها فإنه قد سكن غضبى بمناجاة هذه المرأة لولدها: (فإنى حليم لا أُعَجِّل العقوبة على مَن عصانى) .

وفى القرآن الكريم يقول ـ تبارك وتعالى ـ مشيرًا إلى حلمه وكرمه وعفوه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ أى: ولو يعاقب الله الناسَ بما عملوا من الذنوب والمعاصى ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ أى: تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أى: ولكن يؤخر عقابهم بما كسبوا، إلى أجل معلوم عنده محدود ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ أى: فإذا جاء أَجَلُ عقابهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[٢١٩٩] أى: مَن الذى يستحق العقاب، ومن الذى يستوجب الكرامة، ومَن كان منهم فى الدنيا مطيعًا ، ومن كان فيها مشركًا ، لا يخفى عليه أحد من خلقه.

(وقد) يكون السبب فى تأخير العقاب، هو أن الله ـ تبارك وتعالى ـ يعطيهم فرصة عسى أن يتوبوا إليه سبحانه وتعالى قبل أن يموتوا.. والله تعالى غفور رحيم أحنُّ على عبده من الوالدة على ولدها .. وكل هذا أيضًا من حلم الله تعالى وكرمه.

وفى الحديث الشريف: (عن) أبى موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**) [رواه مسلم والنسائى]

أى: وكذلك يبسط يده بالنهار ليعطى الفرصة لمن أذنب فى ليله حتى يتوب من ذنبه (ولا يزال) هذا هو شأنه سبحانه وتعالى فى التلطف بعباده وقبول توبتهم بالليل والنهار حتى تجىء تلك الآية العظيمة وهى طلوع الشمس من مغربها ، فحينئذ يُغلَقُ بابُ التوبة، ولا يُقبل إيمان من كافر ، ولا إحسان من مسىء، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ

(٢١٩٩) سورة فاطر: الآية ٤٥.

﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (٢٢٠).

(وهذا) المشار إليه فى الحديث الأخير .. أيضًا من حلم الله وكرمه ..

(هذا)، وإذا كان الله ـ تبارك وتعالى ـ كما عرفنا ـ وكما جاء فى نص الحديث الذى ندور حوله ـ كريم يُحبُّ الكُرماء، جَواد يُحبُّ الجود .. فإن هذا المعنى الكبير لابد أن يكون قد استوعبه الأخ المؤمن حتى يكون من الأسخياء الذين يحبهم الله تبارك وتعالى .. ولا سيما إذا كان الرسول لله قد رغَّب فى هذا.

(فعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من يوم يُصبِحُ العبادُ فيه إلا مَلَكَانِ ينزلاَنِ ، فيقول أحدهما: اللهُمَّ أعْطِ مُنفِقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعْطِ مُمسكًا تلفًا)**. [متفق عليه]

(وعنه) أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى:

(أنفق يا بنَ آدمَ يُنْفَقْ عليك) [متفق عليه]

(وعن) عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رجُلاً سأل رسولَ الله ﷺ: أىُّ الإسلام خَيرٌ؟ قال: **(تُطعمُ الطعامَ ، وتَقْرأُ السلامَ على مَن عَرفتَ وَمَنْ لم تَعرِفْ)** [متفق عليه]

وكما رغَّب النبى ﷺ فى الجود الذى هو السخاء.. فقد رهَّب كذلك من الشُّح.

(فعن) جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(اتقوا الظُّلمَ ، فإن الظُّلمَ ظُلماتٌ يوم القيامة ، واتقوا الشُّحَّ فإن الشُّحَّ أهلكَ من كان قبلكُم، حَملَهُمْ علَى أنْ سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمَهُم)** [رواه مسلم]

(فعلى) الأخ المسلم .. والأُخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. ويفهماه .. حتى يقفا من خلاله على المعنى المراد من كرم الله .. وحتى يكونا بسبب حرصهما على إرضاء الله أهلاً لكرمه سبحانه وتعالى .. (بل) وحتى يكونا بسبب هذا من أهل الكرم طمعًا فى حب الله تعالى لهما .. (وعليهما) أيضًا أن يحرصَا كل الحرص على أن يكون هذا الكرم بعيدًا عن المنِّ والأذى.. لأن الله

---

(٢٢٠) الأنعام: من الآية ١٥٨.

تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ (٢٢٠١) كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ (٢٢٠٢) عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(●).

(وعليهما) أيضًا أن يحذرَا (سفساف الأمور): وهى كل ردىء حقير .. حتى لا يكونا من هؤلاء الذين يكرههم الله ـ تبارك وتعالى ـ بسبب عدم تخيُّرهم للأفضل ، وحرصهم على فعل الأجود .. الذى هو المحمود عند الله تبارك وتعالى .. سواء كان هذا الأجود قولاً أو فعلاً ، أو تَصَدُّقًا .

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ أى: ولا تقصدوا الردىء فتتصدقوا منه، ولكن تصدَّقوا من الطيب الجيد . قال على: كان الرجل يعمد إلى التمر فيصرمه ـ فيقطعه ـ فيعزل الجيد ناحية ، فإذا جاء صاحب الصدقة، أعطاه من الردىء، فنزلت الآية: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾.

أى: لا تأخذون هذا الردىء فى حقوقكم، إلا عن إغماضٍ منكم، وكراهة لأخذه، وتسامح منكم، فكيف ترضون لى ما لا ترضون لأنفسكم، وحقِّى عليكم من أطيب أموالكم وأنْفَسه؟ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٢٢٠٣) أى: غنىٌّ عن صدقاتكم، محمود عند خلقه، بما بسط لهم من فضله .

(وعليهما) أيضًا على عكس هذا أن يتَخيَّرا معالىَ الأمور التى يُحبُّها الله تبارك وتعالى .. وذلك بأن يكون هناك حرص من جانبهما على فعل كل محمود

(٢٢٠١) المنُّ: أن يعتد على مَن أحسن إليه بإحسانه ويرى أنه أوجب عليه حقاً ، والأذى: أن يتطاول عليه بسبب ما أسدى إليه . . ورئاء الناسِ ابتغاء سمعتهم .

(٢٢٠٢) وصفوان: حجر أملس، والوابل: المطر الشديد، والصلد: الصلب الأملس.

(●) البقرة آية: ٢٦٤.

(٢٢٠٣) البقرة: ٢٦٧ . والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف .

عند الله وعند المؤمنين .. حتى يكونا بسبب هذا من الذين سيُشهد لهم بالخير بعد الوفاة .. كما يشير إلى هذا قول الشاعر:

دَقَّاتُ قلبِ المرْءِ قائلةٌ لَهُ ... إنَّ الحياةَ دَقَائِقٌ وثَوانِ

فاعمَلْ لنفسكَ قبل موتِكَ ذِكْرَها ... فالذِّكرُ للإنسانِ عُمْرٌ ثَانِ

والله ولي التوفيق ،،

(٥٥) هل يجوزُ للزوج الاستمتاعُ بزوجته وهي حائضٌ أو نُفساءُ .. يا رسول الله؟

عن أنس ﷺ أن اليهود كانوا إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيت، فَسُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فأنزل الله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ**﴾ (٢٢٠٤) الآية فقال النبي ﷺ: (**جَامِعُوهُنَّ في البُيوت واصنعُوا كل شيءٍ غيْر النكاحِ**) [أخرجه السبعة (٢٢٠٥) إلا البخاري]

وقد روى أحمد ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه حين نزلت هذه الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ..﴾ الآية: (اصنعُوا كل شيء إلا الجماع)، وقد نص الشافعي على أن جماع الحائض والنفساء كبيرة من الكبائر ، وقال النووي رحمه الله: (.. **لو اعتقد مسلم حلَّ جماع الحائض والنفساء في فَرْجها صار كافرًا مرتدًا، ولو فعله غير معتقد حلَّه ناسيًا أو جاهلاً الحرمة أو وجود الحيض، فلا حرمة ولا كفارة** (٢٢٠٦) ، **وإن فعله عامدًا عالمًا بالحيض والتحريم مختارًا فقد ارتكب معصية**) ا. هـ.

(٢٢٠٤) البقرة: من الآية ٢٢٢ .

(٢٢٠٥) أي: أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وابن ماجه.

(٢٢٠٦) يرى جمهور الفقهاء من الشافعية أنه من جامع امرأته في حيضها أو نفاسها وجب عليه إخراج كفارة وهي دينار من ذهب .. (قال في الفقه الواضح) ج١ ص١٢٧: ولهم في ذلك تفصيلات فراجعها إن شئت في شرح المهذب للإمام النووي.

وكما تكون الحرمة على الرجل تكون على المرأة إن أخفت عليه وجود الدم، أو رضيت بالجماع دون مقاومة، ولم تكن مُكْرَهَة.

وعلى هذا، فإن جمهور الفقهاء يرى جواز الاستمتاع بما دون الفرج .. واستدلوا بحديث أنس ـ الذى ندور حوله ـ وقد ورد عن مسروق بن الأجدع ﷺ قال: سألت عائشة ﷺ: ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضًا ؟! قالت: (كل شىء إلا الفرج). [رواه البخارى فى تاريخه]

وعلى الرجل أن يتجنب مواضع الأذى ، فلا يحوم حول الحمى لكى لا يقع فيه، لأن دم الحيض والنفاس من الأذى بمكان بل هو ينبوع الأذى.

ويرى جمهور الفقهاء: أنه لا يجوز جماع المرأة إلا بعد أن تغتسل، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾(●) أى: يفعلْنَ ما يطهرن به وهو الاغتسال.

(والحكمة) (٢٢٠٧) من نَهْى الله الرجلَ عن وَطْء المرأة أثناء الحيض والنفاس فوق ما يترتب عليه من (أذى) هى تعويد الرجل على الصبر على بُعد المرأة عنه مدة من الزمن ، إذ إن الرجل كثيرًا ما تدعوه أعماله الخاصة إلى السفر والتغيب عن أهله مُدَدًا مختلفة ، ففى التحريم رحمة به ، وتقوية لعزيمته.

وهناك ملاحظة هامة .. لابد كذلك أن يلاحظها الرجل.. بل والمرأة معًا .. وهى أنه كما لا يجوز جماع المرأة أثناء حيضها ونفاسها لا يجوز جماعها فى دُبرها ؛ لأن الأضرار التى تنجم منه لا تقل خطورة عن الأضرار التى تنجم من الحيض والنفاس .. وحرمة هذا الفعل المشين ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى فى سورة البقرة(٢٢٠٨) :﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أى: من الموضع الذى يخرج منه الولد كما قال أكثر المفسرين.

(●) البقرة من الآية: ٢٢٢.

(٢٢٠٧) كما جاء فى بحث للدكتور محمد وصفى فى كتابه النفيس (القرآن والطب) .. ذكره صاحب كتاب الفقه الواضح ج١ ص ١٣٢ .

(٢٢٠٨) البقرة: من الآية ٢٢٢.

وقد روى الإمام أحمد ، وابن ماجه ، والترمذى أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تَأتُوا النساءَ فى أعجازِهنَّ)** أو قال: (فى أدْبارِهنَّ) ورواته ثقات.

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال ـ فى الذى يأتى امرأته فى دُبرها ـ: **(هى اللوطيَّة الصغرى)**.

وروى أحمد وأصحاب السنن عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(ملعونٌ مَن أتى امرأته فى دُبرها)** .

وأما الإجماع، فإنه لم يُسمع عَمَّنْ يُحتج بقوله أنه أفتى بحلِّه.

(والحرمة) إنما تتحقق بإدخال حشفة الذكر فى حلقة الدبر ، أما مجرد ملامسة الذَّكَر لحلقة الدبر، دون إدخال، فليس فيها حرمة، ولكن ينبغى على الرجل أن يلاحظ أن مَنْ حام حول الحِمَى يوشك أن يقع فيه .

ويرى جمهور الفقهاء من الشافعية أنه مَن جامع امرأته فى حيضها أو نفاسها: وجب عليه إخراج كفارة، وهى دينار من ذهب .

(ويُستحب) له عند الحنفيين ومالك والزهرى والجمهور أن يتصدق بدينار إذا كان الدم أسود، وبنصفه إن كان أصفر، وهو أصح الروايتين عن الشافعى وأحمد (لحديث) ابن عباس أن النبى ﷺ قال فى الذى يأتى امرأته وهى حائض: **(يتصدَّق بدينارٍ أو نصفِ دينارٍ)**.

[أخرجه أحمد والأربعة والحاكم وصححه، وقال أبو داود: هكذا الرواية الصحيحة]

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة: أن يلاحظا كل هذا حتى لا يقعا فى هذا المحظور، فيكونا ـ والعياذ بالله ـ من العصاة .. وعلى الأخت المسلمة أن لا تُمكِّن زوجها منها أثناء الحيض أو النفاس.. لأنه يحرم عليها هذا .. وكذلك بالنسبة للنكاح فى دُبرها بصفة خاصة ..

نسأل الله تعالى أن يعافينا من كل هذا .. اللهم آمين ،،

(١٥٦) أخبرْنَا يا رسولَ الله عن مراحلِ خَلْقِ الإنسانِ فى بطنِ أمِّه .. وما الذي سيكتبهُ الملَكُ فى كِتَابه بعد مائةٍ وعشْرينَ يومًا؟

عن أبى عبد الرحمن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ:

(إنَّ أحدكُم يُجمعُ خَلْقُه فى بطن أمِّه أربعين يومًا نُطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مُضْغَةً مثلَ ذلك ، ثم يُرسَلُ إليه الملَكُ فينفخ فيه الروحَ ويُؤمرُ بأربعِ كلمات: بكَتْب رزقه ، وأجَلِه ، وعمله ، وشَقِىٌّ أو سَعيدٌ.

فوالله الذى لا إلهَ غيرُهُ ، إن أحَدكُم ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى ما يكونُ بينهُ وبينهَا ذِراعٌ فيسبِقُ عليه الكتابُ فيَعْملُ بعَمَل أهل النارِ فيدْخُلها ، وإن أحدكم ليعملُ بعَمل أهل النارِ حتى ما يكونُ بينَهُ وبيْنَها ذِراع فيسبقُ عليه الكتابُ ، فيعملُ بعَمل أهل الجنة فيَدْخُلُهَا) [رواه البخارى ومسلم]

ففى هذا الحديث الشريف المتفق عليه[٢٢٠٩].. يُجيبُ (**الصادق المصدوق**)[٢٢١٠] صلوات الله وسلامه عليه على هذا التساؤل الذى وُجِّه إليه ـ منا ـ فيخبرنا بأن الإنسان: (**يُجمع خَلْقه فى بطن أُمِّه أربعين يومًا نطفة**)، أى: أنه يُجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهما الولد.. كما قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾[٢٢١١] أى: أن الإنسان خُلِقَ من ماء متدفق يخرج من بين صلب الرجل، وترائب المرأة.

قال ابن كثير: ترائب المرأة يعنى صدرها وهو قول ابن عباس ومجاهد. وهذا إعجاز قرآنى ... (ويُحتمل) أن المراد به: يُجمع من البدن كله ، وذلك أنه قيل: إن النطفة فى الطور الأول تسرى فى جسد المرأة أربعين يومًا ، وهى أيام التوحمة،

(٢٢٠٩) وهو الحديث رقم ٤ من الأربعين النووية.

(٢٢١٠) أى: شهد الله له بأنه صادق والمصدوق بمعنى المصدق فيه .

(٢٢١١) سورة الطارق الآية: ٥ ، ٦ ، ٧.

ثم بعد ذلك تُجمع ويُذر عليها من تُربَة المولود فتصير (علقة)، ثم يستمر فى الطور الثانى فيأخذ فى الكبَر حتى يصير (مضغَة) .. وسُميت مُضغَة لأنها بقدر اللقمة التى تُمضَغُ.. ثم فى الطور الثالث يصور الله تلك المضغة ويشق فيها السمعَ والبصرَ والشَّمَّ والفَمَ .. ويُصَوِّر فى داخل جوفها الحوايا والأمعاء.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أى: يجعلكم صورًا فى أرحام أمهاتكم كيف أحبَّ، من ذكر وأنثى ، وأسود وأحمر، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٢١٢).

ثم إذا تَمَّ الطور الثالث وهو أربعون وصار للمولود أربعة أشهر: نُفخَتْ فيه الروح .. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾(●) يعنى: أباكم آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعنى: ذريته، والنطفة المَنى وأصلها الماء القليل، وجمعها نِطاف ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهو الدم الغليظ المتجمد، وتلك النطفة تصير دَمًا غليظًا.

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهى (لحمة: مُخلَّقة وغير مُخلَّقة) قال ابن عباس: مخلقة أى: تامة، وغير مُخلَّقة أى: غير تامة بل ناقصة الخلق.. وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة يعنى السقط .. وعن ابن مسعود ﷺ: أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملَكُ بكفِّه، فقال: أى رب مخلقة أو غير مُخلَّقة .. فإن قال: غير مخلقة قذفها فى الرحم دَمًا ولم تكن قسْمةٌ.. وإن قال: مخلقة قال الملك: أى رب أذَكَرٌ أم أُنثى.. أشَقِىٌّ أم سعيد.. ما الرزق .. وما الأجل .. بأىِّ أرض تموت.. فيقال له: اذهب إلى أُمِّ الكتاب، فإنك تجد فيها كل ذلك ، فيذهب فيجدها فى أُمِّ الكتاب فينسخها.. فلا تزال معه حتى يأتى إلى آخر صفته.. ولهذا قيل: السعادة قبل الولادة.

قال فى (الدين الخالص) جـ١: (فيجب) على المكلف أن يعتقد أن جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره ، وأن الله تعالى يُريد الكُفر من العبد ويشاؤه، ولا

(٢٢١٢) آل عمران: الآية ٦.

(●) الحج آية: ٥

يرضاه ولا يُحبُّه له، فيشاؤه كَوْنًا ولا يرضاه دينًا، وأن كل إنسان مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له. وأن الأعمال بالخواتيم. فالسعيد مَن سَعد بقضاء الله وقدره فيوفقه تعالى للعمل بالشريعة الغراء إلى أن يموت على ذلك. والشَّقِيُّ مَن شَقِى بقضاء الله وقدره فيموت على الكفر والعياذ بالله تعالى.

وعن على بن أبى طالب ﷺ قال: كنا فى جنازة ببقيع الغَرْقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقعد وقعدنا حوله وبيده مِخْصَرة (٢٢١٣) فجعل ينكُتُ بها الأرضَ ثم قال: (**مَا منكُم من أحَدٍ إلا وقد كُتِب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة**). فقالوا: يا رسول الله، أفلا نَتَّكِلُ على كتَابِنَا ؟ فقال: **اعملوا، فكُلٌّ مُيَسَّر لما خُلِق له. أما مَن كان من أهل السَّعادة فسَيصيرُ إلى عَمل السَّعَادة ، وأما مَن كانَ من أهْل الشَّقاء فسيصيرُ إلى عَمل الشَّقاء** . ثم قرأ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ**﴾ الآية (٢٢١٤)

[أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى]

وعن جابر ﷺ قال: جاء سُراقَةُ بنُ مالك بن جُعْشُم ﷺ ، فقال: يا رسول الله، بيِّن لنا دينَنَا كَأنَّا خُلِقْنَا الآن، فيم العملُ اليومَ؟ فيما جَفَّت الأقلامُ وجَرَتْ به المقادير؟ أم فيما يستقبل؟ قال: **فيما جفَّت به الأقلام ، وجَرَتْ به المقادير**. قال: ففيم العمل؟ قال:

(**اعملوا ، فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَه ، وكُلٌّ عاملٌ بعمله**) [أخرجه مسلم]

وعن سهل بن سعد الساعدى ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**إنَّ الرجلَ ليعملُ بعمل أهلِ الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهْلِ النار. وإنَّ الرجلَ ليعملُ عملَ أهلِ النارِ فيما يبدو للناسِ ، وهو من أهْلِ الجنة**)

[أخرجه الشيخان . وزاد البخارى: (وإنما الأعمال بالخواتيم)]

وقد قال فى شرح الأربعين النووية.. حول قوله ﷺ: (**فيسْبِق عليه الكتَابُ**)

(٢٢١٣) المخصرة: بكسر فسكون: ما يمسكه الإنسان بيده من عَصاً ونحوها .

(٢٢١٤) الليل ٥ ـ ٧ .

أى: الذى سبق فى العلم، أو الذى سبق فى اللوح المحفوظ، أو الذى سبق فى بطن الأم.. (وقد) أشار بعد ذلك إلى أن التقادير أربعة:

(الأول): التقدير فى العلم، ولهذا قيل: العناية قبل الولاية، والسعادة قبل الولادة.. واللواحق مبنية على السوابق.. قال الله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾(٢٢١٥) أى: يُصرف عن سماع القرآن، وعن الإيمان به فى الدنيا مَن صُرف عنه فى القدم.. قال رسول الله ﷺ: (لا يُهلِكُ اللهُ إلا هالِكًا) أى: مَن كُتِب فى علم الله تعالى أنه هالك.

(الثانى): التقدير فى اللوح المحفوظ ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير.. قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٢٢١٦)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول فى دعائه: (اللهم، إن كنتَ كَتَبْتَنى شَقِيًا فامْحنى، واكتبنى سَعيدًا).

(الثالث): التقدير فى الرحم، وذلك أنَّ المَلَكَ يؤمَرُ بكَتْبِ رزقه وأجله، وشقِىٌّ أو سعيد.

(الرابع): التقدير هو سَوْق المقادير إلى المواقيت.. والله تعالى خلق الخير والشر وقدَّر مجيئه إلى العبد فى أوقات معلومات.

(ولهذا) فإن الإيمان بالقضاء والقدر واجب.. (بل) ويجب الرضا بهما.. وعدم الخوض فى الأمور المتعلقة بهما .. حتى لا يكون هناك توريط عقائدى قد يؤدى إلى الكفر والعياذ بالله .. (وقد) قرأت أن رجلاً دخل على الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فقال له: عظنى .. فقال له: إن كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الخَلَفُ على الله حقًا فالبخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حَقًا فالراحة لماذا ؟ وإن كانت النار حقًا، فالمعصية لماذا؟ وإن كان سؤال منكر ونكير حقًا، فالأُنسُ لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية، فالطمأنينة لماذا؟ وإن كان الحساب حقًا، فالجمع لماذا؟ وإن كان كُلُّ شىء بقضاءٍ وقدرٍ، فالخوفُ لماذا؟

(٢٢١٥) الذاريات: ٩ .

(٢٢١٦) الرعد: ٣٩.

(وقد) ذكر صاحب مقامات العلماء [٢٢١٧] أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسمًا.. خمسةٌ بالقضاء والقدر، وخمسة بالاجتهاد، وخمسة منها بالعادة، وخمسة بالجوهر، وخمسة بالوراثة:

- فأما الخمسة التى فيها بالقضاء والقدر : فالرزق ، والولد ، والأهل ، والسلطان، والعمر.
- وأما الخمسة التى بالاجتهاد: فالجنة ، والنار، والعفَة، والفُروسيةُ، والكتابة.
- وأما الخمسة التى بالعادة: فالأكلُ، والنومُ، والمشىُ، والنِّكاحُ، والتَّغوُّط.
- وأما الخمسة التى بالجوهر: فالزهدُ، والذكاءُ، والبذلُ، والجمالُ، والهَيْبةُ.
- وأما الخمسة التى بالوراثة: فالخير، والتواصل، والسَّخَاءُ، والصِّدقُ، والأمانة.

ثم يقول: وهذا كله لا يُنافى قوله ﷺ: **(كل شىء بقضاء وقَدَر)** وإنما معناه أن بعض هذه الأشياء يكون مُرتَّبًا على سبب، وبعضها يكون بغير سبب. والجميع بقضاء وقدر.

وقوله ﷺ: **(حتَّى ما يكونُ بينه وبينها ذِرَاعٌ..)** هو تمثيل وتقريب ، والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره، وليس المراد حقيقة الذراع وتحديده من الزمان.. فإن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مات دخل الجنة.. والمسلم إذا تكلم فى آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار .

ثم يقول [٢٢١٨]: وفى الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار وإن عمل سائر أنواع البر أو عمل سائر أنواع الفسْق .. (وعلى) أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به، لأنه لا يدرى ما الخاتمة.. وينبغى لكل أحد أن يسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ حسن الخاتمة، ويستعيذ بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العاقبة.

(٢٢١٧) كما جاء فى شرح الحديث الثانى من الأربعين النووية.

(٢٢١٨) فى شرح الحديث الرابع من الأربعين النووية. . وهو الذى ندور حوله بتصرف وإضافات .

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٢٢١٩). ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يُقبل، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمنَ مع ذلك من سوء الخاتمة.. فالجواب من وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك معلَّقًا على شرط القبول وحسن الخاتمة .. (ويحتمل) أن مَنْ آمن وأخلص العمل لا يُختَمُ له دائمًا إلا بخير، وإن خاتمة السوء ـ والعياذ بالله ـ إنما تكون في حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة.

ويدل عليه الحديث الآخر: (إنَّ أحدَكُم ليعمَلُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ فيما يبدُو للنَّاسِ ..) أي: فيما يظهر لهم من صلاح ظاهره مع فساد سريرته وخُبثها، والله تعالى أعلم .. اهـ.

ولهذا.. فإني أنصح الأخ المسلم .. والأخت المسلمة بضرورة أن ينتفعا بهذا الحديث الصحيح، وبكل ما دار حوله من تعليقات.. حتى يعرفا أصلهما وفصلهما .. وحتى يكونا بسبب هذا من المتواضعين.. وأيضًا من الحريصين على اغتنام كل لحظة من لحظات حياتهما في طاعة الله تبارك وتعالى .. وهما يسألان الله ـ تبارك وتعالى ـ حُسْنَ الخاتمة .. والله ولي التوفيق ،،

(١٥٧) ماذا أقولُ إذا أردتُ أنْ أمدحَ إنسانًا يا رسولَ الله؟

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنْ كان أحدكُم مادحًا أخاه لا محالةَ فليقُلْ: أحْسِبُ فلانًا كذا وكذا إذا علم منه ذلك ، والله أعلمُ به ولا أُزكِّي على الله أحدًا. وذلك أن رجلاً أثنى على رَجُلٍ عند النبيِّ ﷺ ، فقال له: قطعتَ عُنُق صَاحبِك لو سمعها ما أفلحَ بعدها فإنها بلايا)

[أخرجه أبو داود الطيالسي، والبخاري، ومسلم] (٢٢٢٠)

(٢٢١٩) الكهف: ٣٠.

(٢٢٢٠) الحديث بسنده في مختصر مسلم جـ٢ ص ١٠٨ رقم ١٥١٠ باب (في كراهية التزكية والمدح).

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يُعلِّمنا الحبيبُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من خلال إجابته على التساؤل الموجَّه إليه.. كيف يكون المدح البرىء الذى لا إثم فيه .. إذا أراد أحدنا أن يمدح إنسانًا أو أن يُقدِّمَه مثلاً ـ كعالم ـ لإلقاء مُحاضَرة .. أو أراد أن يُزَكِّيه أمام إنسان لكى يفتح له باب رزْق، أو تيسيرَ خطبةِ عَروسٍ (وذلك) بأن يقول كما علَّمنا الرسول ﷺ: (**أحسبُ فلانًا كذا وكذا**) على شريطة أن يكون يعلم منه ذلك.. والله أعلم به، (**ولا أُزكِّى على الله أحدًا**).

(وهذا) الكلام معناه أن النبى ﷺ لا يُريد منا أن نُنافق فى مدحنا، بل لا بد أن يكون الصدق أساسًا فى هذا المدح.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**تجدُونَ الناسَ معادنَ ، خيارُهم فى الجاهلية خيارُهم فى الإسلام إذا فَقُهُوا ، وتجدون خيارَ الناس فى هذا الشأنِ أشَدَّهم له كراهةً ، وتجدون شرَّ الناسِ ذا الوجْهَينِ الذى يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه**) [رواه البخارى ومسلم، ومالك]

قال النووى شارحًا أو مُعلِّقًا على هذا القول الأخير الوارد فى نص الحديث السابق: (هو الذى يأتى كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها .. وصنيعه نفاق ومَحض كذب وخداع وتحيُّل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهى مُداهنة مُحرمة.. فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود).

وقال غيره: (الفرق بينهما، أن المذموم مَن يُزيِّن لكل طائفة عملها ويُقبِّحهُ عند الأخرى، ويذمُّ كل طائفة عند الأخرى.. والمحمود أن يأتى لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى .. ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل إليها ما أمكنه من الجميل ويستر القبيح) .

وعن محمد بن زيد أن ناسًا قالوا لجده عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: إننا نَدخُل على سُلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده[٢٢٢١]، فقال: كنا نَعُدُّ هذا

(٢٢٢١) يعنى: إذا كنا بحضرته قلنا له كلامًا مما يرضيه ، وإذا خرجنا من عنده قلنا ما يخالف ذلك.

نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ . [رواه البخارى]

(ولاشك) أن هذا النفاق، أو هذا الكذب.. كان ولا يزال سببًا فى ضياع الكثيرين من الممدوحين .. ولا سيما إذا كانوا من هؤلاء الذين ﴿**يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (٢٢٢٢).

(ولهذا) فقد جاء فى نص الحديث الذى ندور حوله: أن رجلاً أثنى على رجل عند النبى ﷺ فقال له: (**قطعتَ عُنق صاحبك ، لو سمعها ما أفلح بعدها فإنها بَلايا**) فيا لها من كلمة جامعة لو فكرنا فيها بصدق لعلمنا أنها فعلاً كانت ولا تزال سببًا فى تَعالى هؤلاء المدوحين على الناس .. بتلك الصورة التى وصلت إلى حَدِّ الاعتداء على حقوقهم دون مبالاة.. وهذا لا شك ما كان إلا بسبب المغالاة فى مدحهم والثناء عليهم بدون صدق.. (وكان) من المفروض على هؤلاء المدوحين أن يعرفوا أنهم لابد أن يتواضعوا .. لأن التواضع هو أساس النجاح.

(وكان) أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مدحه أحد من الناس يقول: (اللهم اجعلنى خيرًا مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون، ولا تؤاخذنى بما يقولون).

فإذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ وهو مَنْ هو ـ يقول هذا.. فما بالك بغيره .. (إنه) التواضع المنقطع النظير .. والذى كان ولا يزال مضرب الأمثال .. وسيظل مضربًا للأمثال إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها .. (فعلى) الأخ الممدوح أن يأخذ درسًا من هذا القول المأثور .. (وعلى) الأخ المادح أن يتقى الله تعالى فيه حتى لا يَغُشَّه بأى كلام معسول لا صلة له بالصدق.. بُغية أن يصله عن طريق هذا حطام زائل سيكون به أو بسببه فى نار جهنم .. يوم لا ينفع الندم.. ولله دَرُّ الشاعر الذى يقول: (٢٢٢٣)

(٢٢٢٢) آل عمران: من الآية ١٨٨.

(٢٢٢٣) وهو الحريرى المتوفَّى سنة ٥١٦ هـ (مجموعة النظم والنثر) .

اسمـــع أُخـــيَّ وصيَّـــة من نَاصـحٍ
ما شلبَ [٢٢٢٤] مَحْضَ[٢٢٢٥] النُّصح منه بغشِّه
لا تعْجلَنْ بَقضيَّةٍ مبتـوتَـة[٢٢٢٦]
فى مـدح مـن لم تَـبْـلُـهُ [٢٢٢٧] أو خَـــدْشِـه
وقِفِ القضيَّة فيه حتى تَجْتَلِي[٢٢٢٨]
وَصْـفـيْـه فى حالَـىْ رِضاهُ وبَطْـشِـــه[٢٢٢٩]
فهناك إن تَرَ مَا يَشِينُ [٢٢٣٠] فوارِه[٢٢٣١]
كرمـًا وإن تَـــرَ ما يَـزِيـنُ فـأفْـشِـــه[٢٢٣٢]
واعلم بان التِّبرَ[٢٢٣٣] فى عِرقِ الثَّرى[٢٢٣٤]
خَـافٍ إلى أن يُستَـنـارَ[٢٢٣٥] بِئَبْـشِـه [٢٢٣٦]
وفَضِيـلةُ الدينـارِ يظهـر سِرُّها
مِـن حَـكِّـه لا مِـنْ مَـلاحَـةِ نَـقْـشِـــه
ومن الغبـــاوةِ أنْ تُعـــظِّمَ جاهِـلاً
لِصَقَـــالِ[٢٢٣٧] مَلْبَسِهِ وَرَوْنقِ رَقْشِـه [٢٢٣٨]
أو أن تُهِـينَ مُهَـذَّبًـا فـى نَفْسِـه
لِـدُرُوسِ بِـزَّتِـه وَرِثَّـةِ [٢٢٣٩] فَرشِـه [٢٢٤٠]

(٢٢٢٤) أى: ما خالط.
(٢٢٢٥) أى: خالص.
(٢٢٢٦) بحكم بات أى قاطع.
(٢٢٢٧) أى: حتى تختبره.
(٢٢٢٨) أى: حتى تتبين.
(٢٢٢٩) أى: غضبه.
(٢٢٣٠) أى: ما يزرى.
(٢٢٣١) أى: فداره.
(٢٢٣٢) أى: فأظهره.
(٢٢٣٣) أى: الذهب فى تراب معدنى.
(٢٢٣٤) أى: التراب والأرض.
(٢٢٣٥) أى: يُستخرج.
(٢٢٣٦) أى: إخراج الشىء المستور.
(٢٢٣٧) أى: لمعان.
(٢٢٣٨) رقشه: أى نقشه.
(٢٢٣٩) أى لخلوقة ثيابه ـ أى قدمه.
(٢٢٤٠) وكذلك قدم فرشه.

(وأولى) بك بَدَل أن تمدحه، بما قد يكون سَبَبًا فى عُلُوِّه وطغيانه.. أن تُذَكِّره بأنه من التراب وإلى التراب سيعود.. وبأنه كما قال على كرم الله وجهه: (أوَّله نطفة مَذِرَة، وآخره جيفة قذرة، وهو ما بين ذاك وذاك يحمل العذرة) وأنه أيضًا كما قال - الإمام - كذلك: (تقتله شَرقة، وتُنْتِنُه عَرقَةٌ، وتؤلمه بَقَّةٌ) ، (وذلك) حتى يكون من المتواضعين .. لا من المتكبرين الذين يحبون محمدة الناس ولو بالباطل - والعياذ بالله - والله تعالى يقول: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٢٤١) .

فعلى الأخ المسلم .. بل والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا.. حتى ينتفعا به .. وحتى ينفذاه عند الحاجة إليه على أساس من توجيهات الرسول ﷺ التى وقفا عليها.. بكل صدق وبدون مجاملة أو محاباة.. وإن الله تعالى هو الحق.. ومن كره الحق فقد كره الله .. والله ولى التوفيق ،،

(١٥٨) مَا الذى قَالَتْه الرَّحِمُ لربِّ العزَّة سُبْحانه وتَعَالى بعد أنْ خلقَ جميعَ المخْلُوقات ومَا الذى قَالَهُ اللهُ تعالَى لَهَا .. يا رسولَ الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال: **(إن الله عز وجَلَّ خلق الخَلْق ، حتى إذا فرغ من خَلْقه قامت الرحمُ ، فقال: مَه** (٢٢٤٢) **؟ فقالت: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة ، قال: نعم ، أما ترضَيْنَ أن أصلَ مَن وَصَلَك ، وأقطع من قَطَعَك؟ قالت: بلى يا رب ، قال: فذلكَ لك، فاقرءوا إن شئتُم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾** (٢٢٤٣).

[أخرجه أحمد فى مسنده، والبخارى، ومسلم، والنسائى، وابن حبان، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى فى شُعَب الإيمان]

(٢٢٤١) الزمر: من الآية ٧٢ .

(٢٢٤٢) مه: يعنى: ماذا فالميم للاستفهام.

(٢٢٤٣) سورة محمد آية ٢٢ .

قال ابن أبى جمرة: (يحتمل أن يكون بلسان الحال ، ويحتمل أن يكون بلسان المقال، قولان مشهوران والثانى أرجح، وعلى الثانى فهل تتكلم كما هى ، أو يخلق الله لها عند كلامها حياة وعقلاً، قولان أيضًا مشهوران، والأول أرجح لصلاحية القدرة العامة لذلك) .

وقال فى الفتح: (قال عياض: يجوز أن يكون الذى نسب إليه القول مَلَكًا يتكلم على لسان الرحم) وهو بعيد، وأبعد منه قول القرطبى: (أى: لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت كذا، فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأنه تعالى أنزلها منزلة مَن استجار به فأجاره فأدخله فى حمايته).

(والخلاصة) التى لابد أن ننتهى إليها، هى أن الرحم: (شُجْنَةٌ من الرحمن)(٢٢٤٤) ، قال أبو عبيد:يعنى قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، وفيها لغتان شِجنة بكسر الشين وبضمها وإسكان الجيم .. (وأولوا الأرحام) هم: الأخ والأخت، والخال والخالة، والعم والعمة .. (فالأخ والأخت): يلتقيان معك فى رحم الأُم ، (والخال والخالة): يلتقيان معك فى رحم أُم الأُم، (والعم والعمة): يلتقيان معك فى رحم أم الأب.

وهناك (رحم عامَّة) لابد كذلك أن نصلها وهى المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعنى آدم عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعنى: حواء، فقد خُلقت من ضلع من أضلاعه ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ أى: ونشر من آدم وحواء رجالاً ونساءً كثيرين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ أى: وخافوا الله الذى يسأل بعضكم بعضًا به، فيقول الرجل: أسألك بالله، وأنشدك بالله، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢٢٤٥).

قال القرطبى: (الرحم التى تُوصل عامَّة وخاصة، فالعامة: رحم الدين وتجب

(٢٢٤٤) من حديث رواه أحمد بإسناد جيد قوى . وابن حبان فى صحيحه.

(٢٢٤٥) النساء: ١ . والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف .

مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة. (وأما الرحم الخاصة: فتزيد النفقة على الأقارب وتفقُّد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم) وقال ابن أبى جمرة: (تكون صلة الرحم: بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة. وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كُفَّارًا أو فُجارًا فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم بشرط الجهد فى وعظهم ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى) .

هذا، وإذا كنتُ أريد أن أذَكِّر الأخ القارئ ببعض الأحاديث الشريفة الواردة ـ كذلك ـ فى الترغيب فى صلة الأرحام، والترهيب من قطعها .. فإننى أرى أن أقف أولاً مع الأخ القارئ على المعنى المراد من الآية الكريمة التى ختم الله تعالى بها الحديث الذى ندور حوله، وهى قول الله تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أى: فلعلكم أيها القوم:إن أدبرتم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به، أو أعرضتم عن الجهاد ونكلتم عنه ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أى: أن تعصوا الله فى الأرض ، فتكفروا به وتسفكوا الدماء.. أو: أن تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتُقطِّعون الأرحام ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أى: وتعودوا لما كنتم عليه فى جاهليتكم من التشتت والتفرق، بعدما جمعكم الله بالإسلام، وألَّف بين قلوبكم !!

قال ابن كثير: (وهذا نهى عن الإفساد فى الأرض عمومًا ، وعن قطع الأرحام خصوصًا ، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح فى الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب فى المقال والأفعال وبذل الأموال).

ولهذا ، فقد قال الله تعالى بعد هذه الآية مباشرة: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أى: هؤلاء المفسدون الذين طردهم من رحمته ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ (٢٢٤٦)

(٢٢٤٦) سورة محمد: الآية ٢٢ ، ٢٣.

أى: فسلبهم فهْم ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله، وسلبهم عقولهم فلا يتبينون حُجَج الله، ولا يتذكرون عِبَرهُ وأدلَّته.

(ولهذا) ، فإنه ينبغى علينا حتى لا نكون من هؤلاء الذين أفسدوا فى الأرض وقَطَّعُوا أرحامهم.. (حسبنا) حتى لا نكون منهم: أن ننتفع بالأحاديث الشريفة الآتية.. تلك التى ستكون مؤكدة للمعنى المراد من الحديث الأول، وشارحة له:

(فعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

(مَنْ كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ: فليُكرِم ضيفه ، ومَنْ كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر: فليصلْ رَحِمه(٢٢٤٧)، ومَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر: فليقُلْ خيرًا أو ليصمُتْ) [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:**(مَن أحبَّ أن يُبْسطَ له فى رزقه(٢٢٤٨)، ويُنْسأ له فى أثره (٢٢٤٩): فَلْيَصِلْ رحمه)**

[رواه البخارى ومسلم]

(وعن) عائشة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(الرَّحمُ متعلقة بالعرش تقول: مَن وصلنى وَصَله اللهُ ، ومَن قطعنى قطعه الله (٢٢٥٠))** [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(ليسَ الواصلُ بالمكَافئ (٢٢٥١)، ولكن الواصل الذى إذا قُطعت رحمه وَصَلَهَا (٢٢٥٢))**.

[رواه البخارى واللفظ له وأبو داود والترمذى]

(٢٢٤٧) أى: فليحسن إلى ذوى قرابته فيعطى محتاجهم ، ويزور مريضهم ، ويواسى منكوبهم . . الخ.

(٢٢٤٨) أى: يُوسَّع ويُزاد .

(٢٢٤٩) أى: يؤخر له فى أجله، وسُمِّى الأجل أثرًا لأنه يتبع العمر .

(٢٢٥٠) يعنى: أنها تدعو لمن وصلها أن يصله الله بفضله ورحمته، وتدعو على من قطعها أن يقطعه الله.

(٢٢٥١) أى: ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته: من يكافئ صاحبه بمثل فعله، ولكن من يتفضل على صاحبه .

(٢٢٥٢) أى: ولكن الحقيق باسم الواصل مَنْ إذا جفت رحمه وتباعدت لم يقابلها بمثل ذلك بل يصلها ويبرها .

(وعن) أُمِّ كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: (**أفضلُ الصَّدقة: الصَّدقةُ على ذى الرحم الكَاشِح** [٢٢٥٣]).

[رواه الطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

(وعن) جُبَيْر بن مُطعم رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: (**لا يدخلُ الجنَّة قاطعٌ**) قال سفيان [٢٢٥٤]: يعنى قاطعَ رحم. [رواه البخارى ومسلم والترمذى]

وورد أن النبى ﷺ قال: (**إنَّ الملائكةَ لا تنزِلُ على قَوْم فيهم قاطعُ رحم**[٢٢٥٥]) [رواه الطبرانى]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا التذكير القرآنى والنبوى، حتى يكونا إن شاء الله من الذين يصلُون أرحامهم الخاصة والعامة .. وذلك حتى يفوزا بكل هذا الخير المشار إليه فى الأحاديث السابقة ـ فضلاً عن غيرها ـ والذى من أهمه: تأكيد الإيمان بالله واليوم الآخر، وبَسْط الرزق ، والبركة فى العمر، ووَصْل الله تعالى له .. ودخول الجنة إن شاء الله.

(وقد) ورد فى وصية من وصايا رسول الله ﷺ أنه قال: (**أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السرِّ والعلانية ، والعدلِ فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغِنَى والفقر ، وأن أعفو عَمَّنْ ظلمنى، وأُعطىَ من حرمنى ، وأصلَ من قطعنى، وأنْ يكون صمتى فكرًا ، ونُطقى ذكرًا ، ونظرى عِبرًا**).

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يَصِلُون أرحامهم لله وفى الله، حتى نفوز بكل هذا الخير .. اللهم آمين ،،

(٢٢٥٣) أى: الذى يُضمر عداوته فى كشحه ، وهو خصره.. يعنى: أن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم المضمر العداوة فى باطنه .. أى: الذى يصل من قطعه .

(٢٢٥٤) وهو ابن عُيينة رحمه الله .

(٢٢٥٥) أىْ: أن ملائكة الرحمة الذين يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم .. لا ينزلون عليهم .

(١٥٩) ما هُنَّ المقدِّمات والمُجنِّباتُ والمُعقِّبات.. والباقيات الصالحاتُ.. يا رسولَ الله؟

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله عز وجَلَّ قسم بينكم أخلاقَكُم كما قسَم بينكم أرزاقكُم ، وإن الله يُعطى المالَ مَن يُحبُّ ومَن لا يُحبُّ ، ولا يُعطى الإيمانَ** (٢٢٥٦) **إلا مَن يُحبُّ ، فإذا أحبَّ عبدًا أعطاه الإيمان، فمن ضَنَّ بالمال أن يُنفقَهُ ، وهاب الليلَ أن يُكابده، وخافَ العَدُوَّ أنْ يجاهده: فليُكْثِر من: سُبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، فإنهنَّ مقدماتٌ ، ومُجَنِّباتٌ** (٢٢٥٧) **ومُعَقِّبَاتٌ، وهى الباقياتُ الصالحات**).

[أخرجه البيهقى فى شُعَب الإيمان. ورواته ثقات]

وقد ورد عن ابن مسعود مرفوعًا لكن بغير هذه الألفاظ ، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا إسحاق، عن الصباح بن محمد، عن مُرَّة الهمدانى، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ اللهَ قَسَم بينكم أخلاقكُمْ كما قَسَم بينكم أرزاقكم ، وإنَّ الله يُعطى الدنيا مَنْ يُحب ومَنْ لا يُحب ، ولا يُعطى الدين إلا مَن أحبَّ ، فمَنْ أعطاه اللهُ الدينَ فقد أحبه ، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه**) . قالوا: وما بوائقه يا نبى الله ؟ قال: (**غشمه وظلمه، ولا يكسب عبدٌ مالاً من حرام فينفق منه فيُبارك له فيه، ولا يتصدق فيُقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث**).

(هذا) وإذا كان لى أن أقف مع الأخ القارئ على أهم ما ورد فى نص هذا الحديث الشريف ـ بروايتيه ـ من ملاحظات وإشارات.. (فإننى) أرى أن أقف

(٢٢٥٦) وفى رواية (الدين) بدل (الإيمان) .

(٢٢٥٧) فى الظاهرية: (منجيات) والمعنى أنها تحيط بالإنسان من جميع جهاته كلها، وتحفظه يوم القيامة مما يكره .

معه أولاً على معنى قول الرسول ﷺ [٢٢٥٨]: **(إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم)**، (فإن) المعنى هو أن الأخلاق الحميدة من حلم وصبر وكرم وشجاعة وعفة وتواضع .. الخ هى من فضل الله وعطائه كالرزق.. فكما أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .. فهو أيضًا يعطى هذه الأخلاق مَنْ يشاء، ويمنعها ممن يشاء.

كما ورد أن وفدًا من العرب جاء إلى رسول الله ﷺ فأحسنوا القول .. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما رأينا مثل هذا الوفد فى حُسن خُلقه .. فقال رسول الله ﷺ: **(إن هذه الأخلاق منحة يمنحها الله مَنْ يشاء من عباده، فمَنْ أراد الله أن يرزقه خُلقًا حسنًا فعل)**.

وقال لأشج عبد القيس: **(إن فيك خصلتين يُحبُّهما الله ورسوله: الحلم، والأناة)** فقال: يا رسول الله، أذاك شىء تخلقتُ به أم جبلنى الله عليهما ؟ فقال: **(بل جبلَك اللهُ عليهما)** فقال الأشج: الحمد لله الذى جبلنى على ما يحب .

(وهذا) القول الأخير معناه أن الأخلاق الفاضلة هى الأساس فى هذا الدين الحنيف .. وحسب الأخ المسلم أن يعلم أن الله تعالى ما فرض الصلاة علينا إلا لكى ننتهى بها عن الفحشاء والمنكر .. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ..**﴾ [٢٢٥٩] .

وكذلك ما أمر الله تعالى حبيبه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأن يأخذ الزكاة من أغنياء المسلمين ويُعطيها لفقرائهم .. إلا لكى يُطهرهم بها .. قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ..**﴾ [٢٢٦٠] .

وما كتب الله تعالى الصيامَ علينا كما كتبه [٢٢٦١] على الذين من قبلنا .. إلا لكى نصل عن طريقه إلى تحقيق التقوى فينا .. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

(٢٢٥٨) كما جاء فى هامش (الترغيب والترهيب) ج٢ ص٧٣٥ بتصرف وإضافات .

(٢٢٥٩) العنكبوت: من الآية ٤٥ .

(٢٢٦٠) التوبة: من الآية ١٠٣ .

(٢٢٦١) أى: كما فرضه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢٢٦٢).

وعندما سيسافر أحدنا ـ إن شاء الله تعالى ـ لأداء فريضة الحج .. فإنه لابد أن يكون مُلتزمًا هناك بالأخلاقيات الكريمة المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (٢٢٦٣).

(إن) كل هذا معناه ـ كما أشرت ـ أن الأخلاق الحسنة هى خير رزق ينبغى علينا ـ نحن المؤمنين إن شاء الله ـ أن نتضرع إلى الله تعالى أن يرزقنا إياه.. وذلك حتى يكمل إيماننا، فقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهُم أخلاقًا**) .

ثم إذا كان الرسول ﷺ قد قال بعد ذلك: (**وإن اللهَ يُؤتِى المال مَن يُحبُّ ، ومن لا يُحبُّ ، ولا يؤتى الإيمان ـ أو الدين ـ إلا مَنْ أحبَّ**).

فإن هذا معناه: أن الدنيا عَرَض حاضر، يأكل منها البَرُّ والفاجر.. ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء.. ولو كانت تساوى شيئًا عند الله ـ تبارك وتعالى ـ لأعطاها لأنبيائه وأوليائه.

(وقد) قرأت لأحدهم قوله:

عَتبْتُ علـى الدنيـا لرفْعةِ جَاهِلٍ ... وخفض لذى علْم فقالت خُذِ العُـذرَا

بَنُـو الجهلِ أبنَائِى لهذا رفعتهـم ... وأهل التُّقى أبناء ضُـرَّتى الأُخـرى

أأتـركُ أبنَائِى يموتُون ضيـعةً ... وأُرضِع أبنـاءً لضُرتـى الأُخـرى

كما قرأت لأحدهم قوله:

كم عالمٍ يسكُن بيتًا بالكِـرَى (٢٢٦٤) ... وجاهـل يملكُ ضِياعًـا وقرى

لمـا قـرأتُ قـوله سبـحانه ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم﴾(٢٢٦٥) زال المِرى (٢٢٦٦)

(٢٢٦٢) البقرة: ١٨٣ .

(٢٢٦٣) البقرة: من الآية ١٩٧ .

(٢٢٦٤) أى: بالأجر.

(٢٢٦٥) الزخرف من الآية ٣٢ .

(٢٢٦٦) والمِرى: أى الشك .

(وهذا) البيت الأخير يشير إلى تلك الملاحظة التى ندور حولها .. وهى أن الله تعالى هو مُقسِّم الأرزاق، (ولهذا) فإنه ينبغى علينا أن لا نحسد إنسانًا على فضل تفضَّل الله عليه به .. وقد قرأت لأحدهم قوله:

أَلاَ قُلْ لمن باتَ لِي حَاسِدًا ... أتدرِى على مَنْ أسأتَ الأدبْ

أَسأتَ علَى اللهِ فى فِعْلِهِ ... كأنكَ لَمْ تَرضَ لى مَا وَهَبْ

فكَانَ جَزَاؤك أنْ خَصَّنِي ... وسَدَّ عليكَ طَرِيقَ الطَّلَبْ

(وكان) ينبغى على هذا الحاسد أن يَحسُدَهُ حسدًا محمودًا .. بمعْنى أن يغبطه على فعل خير يفعله .. وهو يتمنى أن يفعل مثله .. فقد ورد فى الحديث الشريف: (**لا حسدَ إلاَّ فى اثنتين: رجل آتاه اللهُ مالاً فسلَّطه على هَلَكته فى الخير** (٢٢٦٧)، **ورجلٍ آتاه اللهُ الحكمةَ ، فهو يقضى بها ويُعلِّمها**).

[وهو حديث صحيح]

وأما عن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ: (**فإذا أحبَّ ـ اللهُ ـ عبدًا أعطاهُ الإيمانَ**) أو (الدين): أن النعمة الكبرى التى ينبغى علينا ـ نحن المؤمنين ـ أن نتطلع إليها ، ونحن نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لها .. (فهى) نعمة الإيمان ، أو نعمةُ الدين التى إن فاز الإنسان بها .. كان من الفائزين بخيرى الدنيا والآخرة .. وكان هذا معناه كذلك أن الله تعالى يُحبه.

وقد ورد فى الحديث أن الله تعالى إذا أحبَّ عبدًا نادى فى ملائكته: إنى أُحِبُّ فلانًا فأحبُّوه .. فتنادى الملائكة فى أهل الأرض: إن الله أحب فلانًا فأحِبُّوه.. ثم يقول النبى ﷺ: (**فيُوضَع له القبولُ فى الأرض**).

فلنحرص إن شاء الله على أن نكون أهلاً لهذا الشرف الإيمانى والديني .. (وذلك) بتحقيق الإيمان وتأكيده فى كل تصرفاتنا .. وتنفيذنا لأوامر الله تعالى واجتنابنا لنواهيه .. وكذلك بالنسبة لما أمر به الرسول ﷺ ونهى .. قال تعالى:

(٢٢٦٧) أى: على إنفاقه فى أبواب الخير المشروعة .

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (٢٢٦٨) لأن الله تعالى يقول: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٢٢٦٩) ويقول: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٢٢٧٠).

إننا إن فعلنا هذا بالإضافة إلى كل هذا الخير سنكون ـ إن شاء الله ـ من هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين مَنَّ الله تعالى عليهم بنعمة الدين الإسلامى الحنيف الذى ينبغى علينا أن نفخر بأننا من أبنائه.. كما يقول أحدهم:

أَبِـى الإسْلامُ لا أبَ لِى سِـوَاهُ إذَا افتخَـرُوا بقَـيْسٍ أو تَمِيـمِ

(بل) وينبغى علينا أن نتباهى بأننا من أمة محمد ﷺ، كما يقول أحدهم:

ومِمَّا زَادنِـى شَرَفًا وَتِيهًـا وكِدْتُ بأخْمَصِى أطأُ الثُّرَيَّا (٢٢٧١)

دُخُولى تحت قولكَ يا عـبادى وأنْ صيرتَ أحْمد لـى نبيًّـا

صلوات الله وسلامه عليه .. فهو أساس هذا الخير الذى نحن فيه .. والذى لولاه لظل العالم أجمع إلى لحظتنا هذه فى ضلال مبين .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٢٧٢)

وأما عن قوله ﷺ: (**فمن ضَنَّ بالمال أن ينفقه**) أى: بخل بالمال وثقل عليه إخراجه (**وهابَ العدو أن يجاهده**) أى: جَبُنَ عن ملاقاة الأعداء فى ساحات القتال (**والليلَ أن يكابده**) أى: يسهره مُتهَجِّدًا (**فليُكثر من قول: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر**):

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لأنْ أقولَ: سبحان الله ،**

(٢٢٦٨) الحشر: من الآية ٧ .

(٢٢٦٩) النساء من الآية ٨٠.

(٢٢٧٠) النساء: ٦٩ .

(٢٢٧١) أى: كدتُ أن أضع قدمى فوق النجوم.

(٢٢٧٢) آل عمران: ١٦٤ . مع ملاحظة أن الكتاب أى القرآن، والحكمة هى السنة.

والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر: أحَبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ) [رواه مسلم والترمذى]

(وعن) سمرة بن جُندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أحبُّ الكلام إلى الله أربعٌ : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأتَ)** [رواه مسلم وابن ماجه والنسائى، وزاد: **(وَهُنَّ من القرآن)** ورواه النسائى أيضًا ، وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة]

وهُنَّ أيضًا، كما قال الرسول ﷺ فى ختام الحديث ـ الذى ندور حوله ـ: **(مُقَدِّماتٌ ومُجنِّبات)** أى: مقدمات أمامكم. وفى رواية الحاكم: **(مُنجيات)**[٢٢٧٣] (ومُعَقِّباتٌ): أى: تتعقبكم وتأتى من ورائكم. (وهى: الباقياتُ الصالحات) أى: أنها تبقى مُدخَّرة لصاحبها عند الله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تُوزن فى حسناته يوم القيامة.

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ أى: المال والبنون التى يفخر بها بعض الناس ، مما يُتَزَيَّنُ به فى الحياة الدنيا ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[٢٢٧٤] أى: وأعمال الآخرة خير من المال والبنين ، التى تفنى ولا تبقى لأهلها .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا الخير .. حتى يُكثرا إن شاء الله من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير .. وحتى يكونا بهذا كذلك من أهل الباقيات الصالحات .. والله ولى التوفيق ،،

(١٦٠) مَا جَزَاءُ الإيثارِ علَى النَّفْسِ يَا رسُولَ اللهِ؟

قال نافع[٢٢٧٥]: اشتهى عبدالله بن عمر سمكةً طريَّةً، وكان قد نَقِهَ من

(٢٢٧٣) أى: مخلِّصات من العذاب يوم القيامة.

(٢٢٧٤) الكهف: ٤٦ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف يسير.

(٢٢٧٥) مولى ابن عمر رضى الله عنهما وعن جدهما .

مرضه، فالتُمِسَتْ بالمدينة فلم توجد.. حتى وُجِدت بعد مُدَّة، واشْتُرِيَتْ بدرهم ونصف، فاشتريت وجيء بها على رغيف، فقام سائل على الباب، فقال عبدالله ابن عمر للغلام: لُفَّها برغيفها وادفعها إليه. فأبى الغلام فردَّه وأمره بدفعها إليه، ثم جاء بها فوضعها بين يديه فقال: كُلْ هنيئًا أبا عبد الرحمن. فقال: أأعطيته درهمًا وأخذتها؟ فقال: لُفَّها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**أيُّما امرىء اشتهى شهوةً ، فردَّ شهوته وآثرَ علَى نفسِه غفرَ اللهُ له**).

[أخرجه الدارقطنى فى الأفراد ، وأبو الشيخ فى الثواب عن ابن عمر رضي الله عنهما]

ففى هذا الحديث الشريف يخبرنا الحبيب المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بجزاء الإيثار على النفس الذى ينبغى أن يكون سائدًا ومنتشرًا بين المسلمين والمسلمات، حتى لا يكون هناك ما يُسمَّى بالضيق أو بالكرب بينهم .. ولا سيما إذا كان أهم جزاء لهذا الإيثار أن الله تعالى سيغفر لصاحبه، الذى هو بسبب هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ من المفلحين.

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى فى حق الأنصار الذين أكرموا إخوانهم من المهاجرين .. بل وآثروهم على أنفسهم: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (٢٢٧٦).

هذا بالإضافة إلى ما ورد فى السنة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق، ما عندى إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماءٌ، فقال النبى ﷺ: (**مَن يُضَيِّف هذا الليلة**) ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رَحْله، فقال لامرأته: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ

(٢٢٧٦) الحشر: ٩ .

وفى رواية قال لامرأته: هل عندك شىء؟ قالت: لا إلا قوتُ صبيانى . قال: فعَلِّليهمْ بشىء وإذا أرادوا العَشاء فنَوِّميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئى السِّراج وأريه أنَّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيفُ، وبَاتَا طاويَيْن، فلما أصبح غدَا على النبى ﷺ فقال (**لقد عَجب اللهُ من صنيعكُما بضيفكُمَا الليلة**) [متفق عليه]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يتعظا بهذا حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل الإيثار .. مع ملاحظة قول الرسول ﷺ (**طَعَامُ الاثنيْن كَافى الثَّلاثةَ ، وطَعَامُ الثلاثة كَافى الأربعةَ**).

[متفق عليه، وفى رواية لمسلم (**وطعامُ الأربعةِ يكفى الثَّمانيةَ**)]

والله ولى التوفيق،،

(١٦١) مَنْ أهْونُ أهلِ النَّارِ عذابًا .. يَا رسُولَ الله؟

عن أبى سعيد الخدرىِّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أهونُ أهلِ النارِ عذابًا رجُلٌ فى رِجْلَيْه نعلانِ من نار يغلى منهما دماغه ، ومنهم مَن هُو فى النار إلى كَعبيه مع إجراء العذاب ، ومنهم مَن هو فى النار إلى رُكبتيه مع إجراء العذاب ، ومنهم مَن هو فى النار إلى أرنبته مع إجراء العذاب، ومنهم مَن هو فى النار إلى صدره مع إجراء العذاب، ومنهم من قد اغتمر فى النار**).

[أخرجه أحمد فى مسنده، وعبد بن حميد وابن منيع، والحاكم فى المستدرك، والضياء المقدسى فى المختارة]

ورد كذلك (٢٢٧٧)، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن أهونَ أهل النار عذابًا رجل منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه مع إجراء العذاب ، ومنهم مَن فى النار إلى صدره مع إجراء العذاب ، ومنهم من فى النار إلى ترقوته مع إجراء العذاب ، ومنهم من قد انغمس فيها**).

[رواه البزار ورجاله رجال للصحيح]

(٢٢٧٧) فى مجمع الزوائد جـ ١ ص ٣٩٥ باب: تفاوت أهل النار فى العذاب.